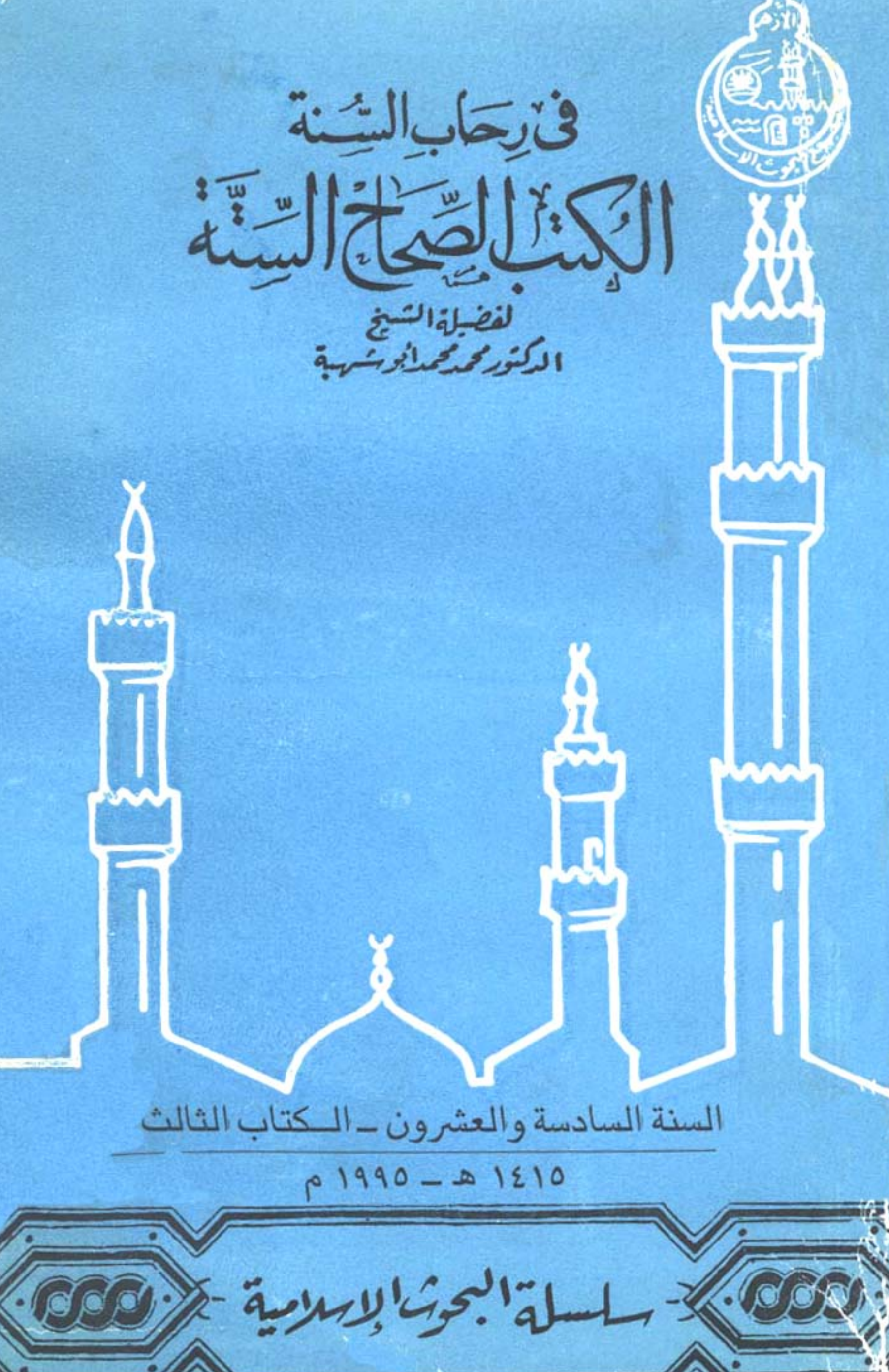

في رحاب السنة
الكتب الصحاح الستة
لفضيلة الشيخ
الدكتور محمد محمد أبو شهبة
السنة السادسة والعشرون - الكتاب الثالث
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
سلسلة البحوث الإسلامية



في رحاب السنة

الكتب الصحاح الستة

لفضيلة الشيخ
الدكتور محمد محمد أبو شهبة

سلسلة البحوث الإسلامية

السنة السادسة والعشرون ـ الكتاب الثالث

١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد السيد أحمد سعود

وكيل الأزهر والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين وبعـد :

فإن السنة النبوية الكريمة ، تحتل مكانة عالية ، ومنزلة سامية من نفوس المسلمين ، جعلتهم يهتمون بها جمعا وتدوينا وشرحا ، ولم يحظ علم من العلوم بالاهتمام الذى حظيت به سنة النبى ـ ﷺ ـ على امتداد الزمن .

فالسنة بيان للقرآن الكريم ، وشارحة له ، تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتبسط ما فيه من إيجاز ، مصداقا لقوله ـ تعالى ـ « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » .

وقد كان النبى — ﷺ — يبين تارة بالقول ، وتارة بالفعل ، وتارة بهما معا ، فقد ثبت عنه أنه قال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » رواه البخارى ٠

وقال في حجة الوداع : « خذوا عني مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا » رواه مسلم ٠

والسنة النبوية مع بيانها وشرحها وتفصيلها لمجمل القرآن الكريم ، قد تستقل بالتشريع كما فى حكم الرجم للزانى المحصن ، وإعطاء السدس للجدة ، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، وبين المرأة وخالتها فى عصمة رجل ، وغير ذلك من أمور التشريع ٠

لهذا فقد اهتم مجمع البحوث الإسلامية بالسنة فأصدر عددا من الكتب التى تتحدث عنها وعن كتبها ومؤلفيها ، ولمزيد الاهتمام فقد وجه فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، بإعادة طبع هذا الكتاب : « فى رحاب السنة — الكتب الصحاح الستة » لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة رحمه الله ٠

نسأل الله ـ سبحانه ـ أن ينفع به المسلمين ، وأن يجزى مؤلفه خير الجزاء ، وبالله التوفيق .

أحمد السيد أحمد سعود

وكيل الأزهر

والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله القائل : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلهم يتفكرون » (١) ، والصــــلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذى أوتى القـــرآن ومثله معه ، وهى السنة : شارحة للقرآن ، ومبينة له ٠

« أما بعـــــد » :

فقد قال المعصوم صلوات الله وسلامه عليه : « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » وفى رواية : « فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » (٢) ٠

فلا عجب أن شمر العلماء عن ساعد الجـد من لدن الصحابة فى جمع الأحاديث والسنن وحفظها وتبليغها للناس ، وقد انقطع الى هذا العمل الجليل أئمة لا يشق لهم غبار فى فقه الأحاديث ، ونقدها ومعرفة صحيحها من معلولها ، وجيدها من زائفها ـ معرفة أوفت على

---

(١) سورة النحل : ٤٤

(٢) رواه أصحاب السنن وغيرهم ٠

الغاية ، وما زالوا يحلون ويرتحلون ، ويحفظون ويكتبون ، ويتخيرون ويتحرون الصدق والحق ، ويصدفون عن الكذب والباطل ، حتى تركوا لنا فى باب الرواية موسوعات ضخمة ، وثروة طائلة فى هذا العلم النبوى الشريف ، يجد فيها المسلم والباحث عن الحقيقة ما يشاء من دين ودنيا ، وعقيدة وتشريع ، وأخلاق وآداب ، ومواعظ وزواجر ، وقصص وتواريخ ، وحكمة واجتماع ، وبلاغة وفصاحة .

وسنتناول فى هذه الرسالة تعريفا بأشهر كتب الحديث ومؤلفيها ، وهى الكتب الستة التى اشتملت على جل الأحاديث الثابتة المعروفة عند المحدثين وهى:

صحيح البخارى .

وصحيح مسلم .

وسنن النسائى .

وسنن أبى داود .

وسنن الترمذى .

وسنن ابن ماجة .

ومن الله أستمد العون والتوفيق فاللهم أعن وسدد،،

كتبه أبو رضا

محمد محمد أبو شهبة

منزلة السنة فى التشريع

مرجع الشريعة الإسلامية إلى أصلين كريمين :

الأول : القرآن الكريم ٠

وهو كلام الله المنزل على سيدنا محمد المعجز بلفظه ، المتعبد بتلاوته ، المنقول بالتواتر ، المفيد للقطع واليقين المكتوب فى المصاحف من أول سورة الفاتحة الى آخر سورة الناس وهو هداية الخالق للخلق ، وشريعة السماء لأهل الأرض ، ختم الله به الكتب السماوية ، وناط به سعادتى الدنيا والآخرة ٠

وقد أنزله الله سبحانه على نبيه محمد ﷺ فى اثنتين وعشرين ونصف سنة تقريبا ، نزل به أمين الوحى جبريل عليه السلام بلفظه ، وأوحاه الى النبى وحيا ظاهرا فى اليقظة لا فى المنام ولا عن طريق الإلهام ثم بلغه النبى ﷺ الى الأمة كما أنزل عليه ٠

والقرآن الكريم كلام الله سبحانه ليس لجبريل ولا للنبى فيه إلا البلاغ من غير تزيد ولا نقصان ، ولا تحريف ولا تبديل ٠

وقد تلقاه من النبى ﷺ العدد الكثير من الصحابة ، وعن الصحابة تلقاه الألوف من التابعين ، وعن التابعين حمله ألوف ممن بعدهم ، وهكذا فى كل جيل وعصر ، حتى وصل إلينا كله ، كما أنزل على نبيه محمد وحيا أمينا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

الثانى : السنة .

وهى فى اصطلاح المحدثين : أقوال النبى ﷺ ، وأفعاله ، وتقريراته ، وصفاته الخلقية والخلقية .

وزاد بعض العلماء أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم ويشهد لهؤلاء ما ورد فى الحديث الصحيح : « عليكم بسنتى ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » ، رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

ومعنى التقرير أن يقول أحد قولا ، أو يفعل فعلا أمام النبى ﷺ ولا ينكره عليه ، أو لا يكون أمامه ولكن يبلغه فيسكت عنه فسكوته وعدم إنكاره تقرير له ، يكتسب به صفة الشرعية ، إذ حاشاه ﷺ أن يقر أمرا غيرمشروع فيما يرجع الى الأحكام ، والحلال والحرام .

والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث عند كثير من العلماء .

منزلة السنة من القرآن

القرآن هو الأصل الأول فى التشريع الاسلامى ، والسنة هى الأصل الثانى ، ومنزلة السنة من القرآن أنها مبينة له وشارحة : تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتبسط ما فيه من إيجاز ، قال الله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » .

وقد كان النبى - ﷺ - يبين تارة بالقول وتارة بالفعل ، وتارة بهما معا ، وقد ثبت عنه أنه قال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » رواه البخارى ، وقال فى حجة الوداع : « خذوا عنى مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا » رواه مسلم .

أمثلة من بيان السنة للقرآن

قال الله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة[1] » ولم يرد فى القرآن بيان عدد الصلوات ولا كيفيتها فجاءت السنة فبينت ذلك ، وكذلك لم يرد بيان متى

---

(١) سورة البقرة : ٤٣

تجب الزكاة ؟ وأنصبتها ، ومقدار ما يخرج فيها ، وفيم تجب فجاءت السنة فبينت كل ذلك .

وقال تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم (١) » ولم يبين ما هى السرقة ؟ وما النصاب الذى يحد فيه السارق ؟ ومن أى موضع يكون القطع ؟ فبينت السنة كل ذلك .

ولما استشكل بعض الصحابة قوله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (٢) » وقالوا أينا لم يظلم ؟ بين لهم النبى ﷺ أن المراد بالظلم : الشرك ، واستدل بقوله سبحانه فى آية أخرى : « إن الشرك لظلم عظيم (٣) » .

كما فسر لهم الحساب اليسير بالعرض فى قوله سبحانه « فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا . وينقلب إلى أهله مسرورا (٤) » والمراد عرض الأعمال من غير مناقشة .

---

(١) سورة المائدة : ٣٨

(٢) سورة الأنعام : ٨٢

(٣) سورة لقمان : ١٣

(٤) سورة الانشقاق : ٧ ــ ٩

وقد كان الصحابة ومن بعدهم يعلمون هذه الحقيقة، روى ابن المبارك عن عمران بن حصين أنه قال لرجل : إنك رجل أحمق أتجد الظهر فى كتاب الله أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ، ثم قال : أتجده فى كتاب الله مفسرا ؟ إن كتاب الله أبهم هذا ، وإن السنة تفسر الكتاب وتبينه .

●●●

استقلال السنة بالتشريع

وقد تستقل السنة بالتشريع فى بعض الأحيان، وذلك كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وتحريم سائر القرابات من الرضاعة ـ عدا ما نص عليه فى القرآن ـ إلحاقا لهن بالمحرمات من النسب ، وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير .

وتحليل ميتة البحر من السمك ، الى غير ذلك من الأحكام التى زادتها السنة عن الكتاب (١) .

● ● ●

---

(١) تفسير القرطبى ج ١ ص ٣٧ ـــ ٣٩

حجيـة السـنة

وقد اتفق العلماء الثقات على حجية السنة سـواء منها ما كان على سبيل البيان أو على سبيل الاستقلال قال الامام الشوكانى : إن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ، ولا يخالف فى هذا إلا من لا حظ له فى الإسلام (١) .

وصدق الشوكانى فإنه لم يخالف فى هذا إلا شرذمة من الخوارج والروافض لا يقام لهم وزن فى معيـار البحث العلمى السليم .

وقد استفاض القرآن والسنة الصحيحة بحجية كـل ما ثبت عن الرسول فمن ذلك :

قول الله سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٢) » .

وقوله جل شأنه : « من يطـع الرسـول فقـد أطاع الله (٣) » .

---

(١) ارشـاد الفحول ص ٣٩

(٢) سورة الحشر : ٧

(٣) سورة النساء : ٨٠

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (١) » .

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر (٢) » .

أما الأحاديث فكثيرة منها ما رواه الامام أبو داود فى سننه بسنده عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال : « ألا إننى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى، ولا كل ذى ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم (٣) بمثل قراه » .

فالمراد بقوله : « ومثله معه » هى الأحاديث والسنن .

---

(١) سورة النور : ٦٣

(٢) سورة الأحزاب : ٢١

(٣) روى مخففا ومشددا من المعاقبة أى يأخذ من أموالهم بقدر ضيافته وهذا يدل على منزلة التكافل الاجتماعى فى الإسلام .

وقد دل الحديث على معجزة النبى ﷺ ، فقد ظهرت فئة فى القديم والحديث تدعوا الى هذه الدعوة الخبيثة وهى الاكتفاء بالقرآن عن الأحاديث، وغرضهم هدم نصف الدين ، أو إن شئت فقل : تقويض الدين كله ، لأنه اذا أهملت الأحاديث فسيؤدى ذلك ـ ولا ريب ـ الى استعجام معظم القرآن على الأمة ، وعدم معرفة المراد منه ، واذا أهملت الأحاديث ، واستعجم القرآن فقل : على الاسلام العفاء .

وقد كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ اذا عرض لهم أمر طلبوا حكمه :

فى كتاب الله .

فإن لم يجدوه طلبوه فى السنة .

فإن لم يجدوه اجتهدوا فى حدود القرآن والسنة وأصولهما .

وحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه أصل فى هذا فقد قال له النبى ﷺ لما بعثه الى اليمن : « بم تقضى اذا عرض لك قضاء ؟ .

قال : بـكتاب الله ٠

قال : فإن لم تجـد ٠

قال : بسنة رسول الله ٠

قال : فإن لم تجـد ٠

قال : أجتهد رأيى ولا آلو ـ أى أقصر ـ ٠

فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال :

« الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله » ٠

● ● ●

حديث عرض السنة على القرآن موضوع

أما الحديث الذى يرويه القائلون بعدم حجية السنة عند الاستقلال وهو : « اذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه ، وما خالف فاتركوه » فقد بين أئمة الحديث ونقاده أنه موضوع ، وضعته الزنادقة كى يصلوا الى غرضهم فى تقويض دعامة من دعائم الدين ، وقد دلل على بطلان هذا الحديث المزعوم بعض الأئمة فقالوا : عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالفه لأنا وجدنا فى كتاب الله : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ووجدنا فيه « من يطع الرسول فقد أطاع الله (١) » .

● ● ●

(١) ارشاد الفحول للشوكانى ص ٢٩

عناية الصحابة بالأحاديث النبوية

ولمكانة الأحاديث من التشريع ، ومنزلتها من القرآن الكريم عنى الصحابة بالأحاديث النبوية عناية فائقة، وحرصوا عليها كحرصهم على القرآن فحفظوها بلفظها أو بمعناها وفهموها ، وعرفوا مقاصدها بفطرتهم العربية ، وبما كانوا يسمعونه من إرشاداته ﷺ وما كانوا يشاهدون من أفعاله وأخلاقه ، وما كانوا يعلمونه من الظروف والملابسات التى قيلت فيها هذه الأحاديث، وما كان يشكل عليهم منها ولا يدركون المراد منه يسألون عنه النبى ﷺ .

وقد بلغ من حرصهم على سماع الوحى والسنن أنهم كانوا يتناوبون فى هذا . روى البخارى فى صحيحه عن عمر قال : « كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد (١) وهى من عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوما ، وأنزل يوما فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره واذا نزل فعل مثل ذلك (٢) » . وبذلك جمعوا بين خيرى

---

(١) أى فى ناحية بنى أمية سميت البقعة باسم من نزلها .

(٢) صحيح البخارى « كتاب العلم ــ باب التناوب فى العلم » .

الدنيا والآخرة فما شغلتهم دنياهم عن دينهم ، ولا شغلهم دينهم عن دنياهم .

واذا علمت أن القرآن والسنة استفاضا ببيان فضل العلم والعلماء وأن الصحابة كانوا يعلمون أن السنة هى الأصل الثانى للتشريع ، وأنهم كانوا يحبون رسول الله أكثر من حبهم لأنفسهم ، وأنهم كانوا يجدون فى الاستماع اليه لذة وروحانية ، وأنهم كانوا يعتقدون أنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، وأنهم كانوا يجدون فيما يسمعونه منه غذاء الايمان (١) وزاد التقوى ، وأنه سبيل الى الجنة (٢) .

إذا علمنا كل هذا أدركنا مبلغ حرص الصحابة على استماع الأحاديث وعنايتهم بها ، وأن ذلك أمر يكاد يكون من البدهيات المسلمات ، وكذلك عنوا بتبليغ الأحاديث والسنن ، لأنهم يعلمون أنها دين ، واجب البلاغ للناس عامة ، وتشريع عام خالد ، وكثيرا ما كان

---

(١) كان الواحد منهم يقول لصاحبه وهو ذاهب الى مجلس رسول الله : تعال نؤمن ساعة .

(٢) فى الحديث الذى رواه مسلم : « من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا الى الجنة » .

النبى يحضهم على البلاغ والأداء بمثل قوله : « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع » .

رواه الشافعى والبيهقى فى المدخل .

وفى خطبته المشهورة فى حجة الوداع قال : « ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه » . رواه البخارى فى صحيحه .

وكان اذا قدم عليه ﷺ وقد علمهم من القرآن والسنة وأوصاهم بأن يحفظوه ويبلغوه ففى صحيح البخارى أنه قال لوفد عبد القيس : « احفظوه وأخبروه من وراءكم » وفى حديث آخر قال : « ارجعوا الى أهلكم فعلموهم (١) » .

(١) فتح البارى جـ ١ ص ١٢٨ ، ١٤٩

النهى عن كتابة الأحاديث فى العصر النبوى

ولم تكن الأحاديث مدونة فى عصر النبى ﷺ تدوينا عاما كالقرآن وذلك لأمرين :

١ ـ الاعتماد على قوة حفظهم ، وسيلان أذهانهم، وعدم توفر أدوات الكتابة فيهم .

٢ ـ لما ورد من النهى عن كتابة الأحاديث فقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « لا تكتبوا عنى شيئا إلا القرآن ومن كتب شيئا فليمحه » .

والظاهر أن النهى عن الكتابة كان خشية أن يلتبس على البعض بالقرآن الكريم أو أن يكون شاغلا لهم عن القرآن ، أو النهى كان بالنسبة لمن يوثق بحفظه .

أما من أمن عليه اللبس بأن كان قارئا كاتبا أو خيف عليه النسيان فلا حرج عليه فى الكتابة .

وعلى هذا يحمل ما ورد من الروايات الثابتة الدالة على الإذن لبعض الصحابة فى كتابة الأحاديث ، ففى

صحيح البخارى عن أبى هريرة قال : « لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب وأنا لا أكتب ، ومثل عبد الله من يؤمن عليه الالتباس .

وفى الصحيحين أن أبا شاه اليمنى التمس من النبى ﷺ أن يكتب له شيئا سمعه من خطبته عام الفتح فقال: اكتبوا لأبى شاه .

وفى صحيح البخارى أن عليا رضى الله تعالى عنه كان عنده صحيفة فيها بعض السنن والأحاديث (١) وفى سنن الترمذى أن رجلا من الأنصار كان يجلس الى رسول الله ﷺ فيسمع منه الحديث ، فيعجبه ولا يحفظه فشكا ذلك الى رسول الله ﷺ فقال : « استعن بيمينك » وأومأ بيده الى الخط .

وثبت أن رسول الله كتب كتاب الصدقات والديات، والفرائض ، والسنن لعمرو بن حزم وغيره (٢) .

---

(١) صحيح البخارى « كتاب العلم ـ باب كتاب العلم » .
(٢) مفتاح السنن ص ١٨

ومن العلماء من يرى أن أحاديث الإذن فى الكتابة ناسخة لحديث النهى ، وأن ذلك كان فى مبدأ الأمر لما ذكرنا آنفا فلما أمن من اللبس أو الاشتغال بها عن القرآن أذن فى ذلك .

ولعل ما يؤيد هذا الرأى أن أحاديث الإذن متأخرة التاريخ ، فأبو هريرة أسلم عام سبع ، وقصة أبى شاه كانت فى السنة الثامنة ومهما يكن من شىء فقد انقضى العهد النبوى والذين كتبوا الأحاديث عدد غير كثير ، ولكن كان يحفظها ويحافظ عليها الكثيرون .

●●●

كتابة الحديث بعد وفاة النبى

وما إن جاور الرسول الرفيق الأعلى حتى كثر عدد من كان يكتب الحديث من الصحابة والتابعين روى عن سعيد بن جبير [١] أنه كان يكون مع ابن عباس - رضى الله عنهما - فيسمع منه الحديث فيكتبه فى واسطة الرحل فإذا نزل نسخه .

وعن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه [٢] قال : « كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما يسمع ، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس » .

وعن هشام بن عروة عن أبيه [٣] أنه أحترقت كتبه يوم الحرة فى خلافة يزيد وكان يقول : « لو أن عندى كتبى بأهلى ومالى » .

---

(١) هو سعيد بن جبير من خيار التابعين وفقهائهم وقد قتله الحجاج سنة خمس وتسعين .
(٢) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن ذكوان القدسى المدنى الفقيه التابعى توفى سنة ثلاثين ومائة .
(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام التابعى الجليل ، وأحد الفقهاء السبعة توفى سنة تسعين ونيف .

وقد هم الفاروق عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن يجمع الأحاديث ويكتبها واستشار أصحاب رسول الله ﷺ فأشاروا عليه فطفق يستخير الله فى ذلك شهرا ولكن الله لم يرد له ·

●●●

تدوين الحـديث تدوينا عاما

واستمر الأمر على ذلك : البعض يكتب الحديث ، والبعض لا يكتب معتمدا على ذاكرته وقوة حفظه الى أن كان عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله تعالى عنه ـ فرأى جمع الأحاديث والسنن وتدوينها تدوينا عاما وذلك خشية أن يضيع منها شيء بموت حافظيها ، أو خشية التباس الباطل بالحق فقد اتسعت رقعة البلاد الاسلامية ، ودخل فى الاسلام من كل جنس ولون ، وفى هؤلاء المخلص للاسلام وغير المخلص ، ووجد بعض المتزندقة الذين كان من أغراضهم الإفساد فى الدين بالاختلاق والدس فيه ما ليس منه كما نشأ بعض الخلافات السياسية والمذهبية والجنسية ، التى كانت سببا من أسباب اختلاق الأحاديث .

وكانت ولاية هذا الخليفة الراشد على رأس المائة الأولى سنة تسع وتسعين من الهجرة ، فكتب الى بعض المبرزين من العلماء فى الأمصار وأمرهم بجمع الأحاديث وكتب الى عماله يأمرهم بذلك ، روى مالك فى الموطأ ـ رواية محمد بن الحسن ـ أن عمر بن

عبد العزيز كتب الى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (١) : أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سننه أو حديث عمر أو نحو هذا فاكتبه ، فإنى خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء ، وأوصاه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، وخرجه البخارى فى صحيحه تعليقا .

وأخرج أبو نعيم فى « تاريخ أصبهان » عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب الى أهل الآفاق : انظروا الى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه .

وممن كتب اليه الخليفة العادل ، الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى (٢) .

---

(١) هو فقيه تابعى استعمله عمر بن عبد العزيز على امرة المدينة، وولاه قضاءها ولا يعرف له اسم غير أبى بكر وقيل كنيته : أبو عبد الملك ، ولجده عمرو صحبة للنبى ، ولأبيه رؤية توفى سنة عشرين ومائة .

(٢) هو أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام ، المتوفى سنة أربع وعشرين ومائة .

نشاط الأئمــة فى التدوين

وقد قام العلماء فى كل مصر بما ندبوا اليه خـير قيام ، وأقبلوا على جمع الأحاديث والسنن وتمحيصها ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، وجيدها من زائفها ولم يعد من السلف من كان يتحرج من الكتابة ، وبـذلك ارتفع الخلاف واستقر الأمر ، وانعقد الاجماع عـلى جواز كتابة الأحاديث ، بل على استحبابها ، بل على وجوبها على من يتعين عليه تبليغ العلم (١) .

وبذلك أخذت الحركة العلمية التدوينية فى الحديث فى الازدهار ، وتجرد لهذا العمل الجليل قوم عـرفوا بالأمانة والصدق ، والتحرى والتثبت ، وجافوا المضاجع ولازموا الدفاتر والمحابر ، وحرصوا على لقاء الشيوخ والأخذ من الأفواه ، وسهروا فى سبيل ذلـك الليـالى الطوال ، وقطعوا الفيافى والقفار ، وطوفوا فى البلدان والأقاليم ، وضربوا فى باب الارتحال فى سبيل العـلم على ما كانوا عليه من قلة المئونة ، وعسر وسائل السفر والارتحال مثلا عليا تجعلهم فى عداد العلماء الخالدين .

---

(١) فتح البارى ج ١ ص ١٦٥

شـــيوع التدوين فى الحـديث

ثم شاع التدوين فى الطبقة (١) التى تلى طبقة الزهرى وأبى بكر بن حزم فألف أبو محمد عبـد الملك بـن عبد العزيز بن جريج المتوفى سنة ١٥٠ هـ مكة ٠

ومعمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣ هـ باليمن ٠

وأبو عمـــرو عبد الرحمن الأوزاعى المتوفى سـنة ١٥٦ هـ بالشام ٠

وسعيد بن أبى عروبة المتوفى سنة ١٥١ هـ ٠

والربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠ هـ ٠

وحماد بن سلمة المتوفى سنة ١٧٦ هـ بالبصرة ٠

ومحمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ ٠

والامام مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ بالمدينة ٠

---

(١) الطبقة فى اصطلاح المحدثين : عبارة عن جماعة اشتركوا فى السن ولقـاء الشيوخ ٠

وأبو عبد الله سفيان الثورى المتوفى سنة ١٦١ هـ بالكوفة .

وعبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ بخراسان .

وهشيم بن بشير المتوفى سنة ١٨٨ هـ بواسط .

وجرير بن عبد الحميد المتوفى سنة ١٨٨ هـ بالرى .

والليث بن سعد المتوفى سنة ١٧٥ هـ بمصر .

وكان منهج المؤلفين فى هذا القرن جمع الأحاديث مختلطة بأقوال الصحابة ، وفتاوى التابعين .

ومما يؤسف أنه لم يصلنا من مؤلفات هذا الطور من أطوار التدوين إلا موطأ الامام الجليل مالك ، ووصف لبعض المؤلفات الأخرى ، أو أجزاء مخطوطة مبعثرة هنا وهناك فى دور الكتب فى الشرق والغرب ، بل إن بعض مخطوطاتنا النادرة لا توجد إلا فى مكتبات الغرب وقد كانت الحملات الباغية الظالمة التى تعرضت لها بلاد الاسلام كحملات التتار والصليبيين من الأسباب فى ضياع الكثير من تراثنا العلمى المدون فى هذه الكتب، والسطو على بعضه والاستئثار به .

العصر الذهبى لتدوين الحــديث

« ٢٠٠ ــ ٣٠٠ هـ »

ثم حدثت خطوة أخرى فى تدوين الحديث وهى إفراد حديث رسول الله ﷺ خاصة وذلك على رأس المائتين .

وهؤلاء المؤلفون منهم من ألف على المسانيد وذلك بأن يجمع المؤلف أحاديث كل صحابى على حــدة من غير تقيد بوحدة الموضوع فحديث فى الصلاة بجانب حديث فى الزكاة بجانب حديث فى البيوع مثلا ، والمعول عليه عند أصحاب هذا المنهج فى التأليف وحدة الصحابى وأصحاب هذه الطريقة : منهم : من يرتب الصــحابة على حسب السبق فى الاسلام .

فقدم العشرة المبشرين بالجنة (١) .

---

(١) هم السادة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحــة ابن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وابو عبيــدة عامر بن الجراح .

ثم أهــل بدر .

ثم أهــل الحديبيــة .

ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح .

ثم من أسلم يوم الفتح .

ثم أصاغر الصحابة سنا .

ثم النساء الراويات .

وخير من يمثل هذا اللون فى التأليف فى هذا العصر هو الامام الجليل أحمد بن حنبل فى مسنده المشهور .

ومنهم : من رتبهم على حروف المعجم .

فيبدأ بمن أول اسمه « حرف الألف » ثم « حــرف الباء » وهكذا .

وخير من يمثل هذه الطريقة بعد هذا العصر، الامام أبو القاسم الطبرانى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ فى كــتابه « المعجم الــكبير » .

وممن ألف على المسانيد أيضا :

اسحاق ابن راهويه المتوفى (سنة ٢٣٨ هـ) .

وعثمان بن أبى شيبة المتوفى (سنة ٢٣٩ هـ) .

ويعقوب بن أبى شيبة المتوفى (سنة ٢٦٣ هـ) وغيرهم كثيرون .

ومن أهل هذا العصر من ألف على الأبواب الفقهية ونحوها فيبدأ بكتاب الصلاة مثلا .

ثم بالزكاة . ثم بالصوم .

ثم بالحج .

ثم بالبيوع .

ثم بالرهن وهكذا ...

وأصحاب هذه الطريقة منهم :

١ - من تقيد فى تأليفه بالأحاديث الصحاح كالإمامين: البخارى ومسلم .

ب - ومنهم من لم يتقيد فى تأليفه بالصحيح بل ذكر الصحيح والحسن بل والضعيف مع التنبيه على درجة

الحديث أحيانا ، ومع عدم التنبيه أحيانا أخرى اعتمادا على ذكر السنة ، واتكالا على نقد القارىء للأسانيد والمتون وتمييزه بين الصحيح والحسن والضعيف ، ولاسيما وأن هذا التمييز ما كان يستعصى على طلاب الحديث فى هذه العصور فضلا عن أئمته ويمثل هذه الطريقة أصحاب السنن الأربعة وهم : الأئمة أبو داود، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

وقد كان القرن الثالث الهجرى هو العصر الذهبى فى تاريخ السنة وجمعها ، ففيه ظهر كبار أئمة الحديث ونقاده ، وفيه أشرقت شموس الكتب الستة وأمثالها التى كادت تشتمل على ما ثبت من الأحاديث ولا يغيب عنها إلا النذر اليسير ، والتى يعتمد عليها الفقهاء والمجتهدون ، والعلماء والمؤلفون ويجد فيها طلبتهم الهداة والمصلحون ، والمتأدبون والأخلاقيون ، وعلماء النفس والاجتماع .

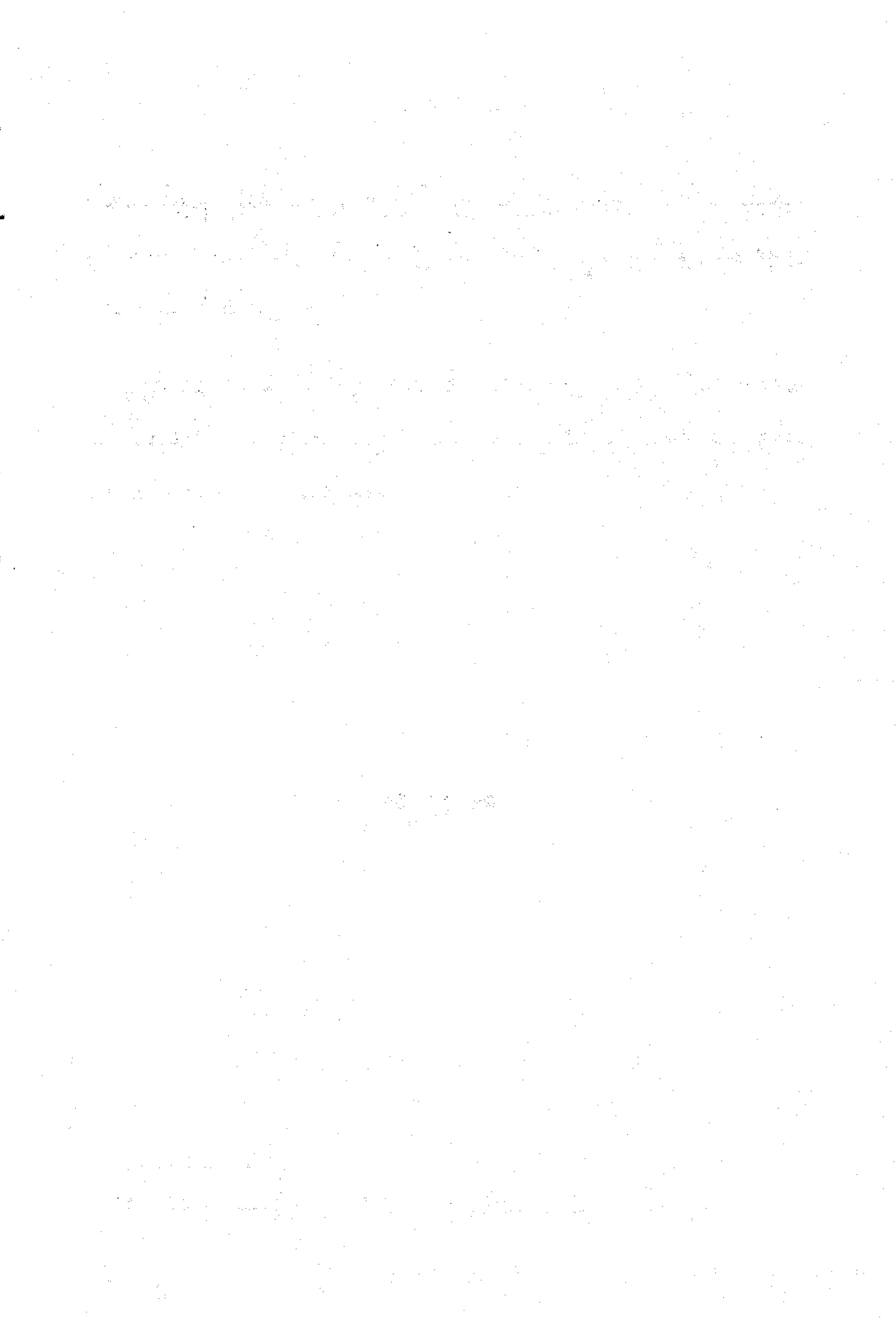
ونحن حينما نقتصر من كتب هذا العصر الذهبى على الكتب الستة فما ذلك إلا لأنها الكتب التى طبقت شهرتها الآفاق ، واستأثرت بعناية العلماء فى كل عصر وقطر ، وإلا فهناك غيرها كثير ، ومن أراد زيادة يقين فى هذا فليرجع الى كتاب « كشف الظنون فى أسامى

العلوم والفنون » ([1]) وسيرى عشرات الكتب والموسوعات التى ألفت فى هذا القرن ، والتى لم يبق منها إلا القليل ٠

وإذ قد انتهينا الى هذا فلنقدم بين يدى التعريف بالكتب الستة وأصحابها بحوثا نراها لازمة لرواد البحث وطلاب الحقيقة ٠

● ● ●

(١) مفتاح السنة ص ٣٣ ، ٣٤ عن كتاب « كشف الظنون » .



الرحلة فى سبيل العـــلم والحديث

إن ما يتميز به أئمة العلم فى الاسلام ولاسيما أئمة الحديث كثرة الارتحال وملازمة الأسفار ، وقد جـروا فى ذلك على سنن الصحابة والتابعين ، لقد كان الواحد منهم يبلغه الحديث بطريق الثقات فلا يكتفى بهذا بل يرحل الأيام والشهر والشهور حتى يأخذ الحديث عمن رواه بلا واسطة .

وقد ثبت فى صحيح البخارى أن جابر بن عبد الله الأنصارى الصحابى رحل مسيرة شهر الى عبد الله بن أنيس (١) وهو بالشام فى سبيل حديث كما رحل الى مسلمة بن مخلد فى سبيل حديث أيضا وكان مسلمة أميرا على مصر ، ورحل السيد الجليل أبو أيوب الأنصارى الىعقبة بن عامر الجهنى بسبب سماعحديث رواه أحمد بسند منقطع ، وروى أبو داود فى سننه من طـــريق عبد الله بن بريدة أن رجلا من الصحابة رحل الى فضالة ابن عبيد وهو بمصر فى حديث (٢) .

---

(١) بضم الهمزة مصغرا وهو الجهنى حليف الأنصار .
(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخـــارى ج ١ ص ١٤١ ، ١٤٢

وعلى هذا الدرب الواضح سار التابعون ومن جاء بعدهم من أئمة العلم والحديث ، روى الخطيب البغدادى عن عبيد الله بن عدى قال : بلغنى حديث عند على فخفت إن مات أن لا أجده عند غيره ، فرحلت حتى قدمت عليه العراق ، وروى الامام مالك عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : إن كنت لأرحل الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد ، وأخرج الخطيب عن أبى العالية قال : كنا نسمع عن أصحاب رسول الله ﷺ فلا نرضى حتى خرجنا اليهم فسمعنا منهم .

وقال الشعبى فى مسألة أفتى فيها : أعطيناكها بغير شىء كان يرحل فيما دونها الى المدينة ، وروى الدارمى بسند صحيح عن بسر بن عبيد الله قال : إن كنت لأركب الى المصر من الأمصار فى الحديث الواحد ، وقال أبو قلابة : لقد أقمت بالمدينة ثلاثة أيام مالى حاجة إلا رجل يقدم عنده حديث فأسمعه .

وقيل للإمام أحمد : رجل يطلب العلم يلزم رجلا عنده علم كثير أو يرحل ؟ قال : يرحل يكتب عن علماء الأمصار .

وذكر الامام الذهبى فى تذكرته عن أبى حاتم الرازى

قال : أول ما دخلت أقمت سبع سنين ، ومشيت على قدمى زيادة على ألف فرسخ ، وخرجت من البحرين الى مصر ماشيا ، ثم الى الرملة ماشيا ، ثم الى طرطوس ولى عشرون سنة .

وما أبو حاتم إلا واحد من آلاف من أئمة الحديث الذين ارتحلوا وتحملوا المشاق فى سبيل التثبت من الأحاديث والتحرى عن الرواة ويأتى فى الرعيل الأول منهم : الأئمة : البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وإن منهم من لم يذق طعم الراحة والاستقرار طيلة حياته .

ومهما يكن من شىء فقد ضرب العلماء المسلمون ولاسيما المحدثون فى باب الارتحال فى سبيل المعرفة والبحث عن الحقيقة ـ على ما كانوا عليه من قلة المؤنة وعسر وسائل السفر آنئذ ـ مثلا عليا تؤكد لهم السبق فى هذا المضمار وتجعلهم فى عداد العلماء الخالدين .

والعجب من بعض الناس أنهم اذا وقفوا على خبر بعض الرحالة الأجانب فى هذا الزمان فانهم يطنطنون بذلك ويبالغون ، وما علموا أن أسلافهم وأجدادهم العرب هم الذين سنوا هذه السنة الحسنة ، وأنهم ضربوا فى ذلك أروع المثل وأحقها بالاشادة والتقدير .

مميزات الرواية فى الإســــلام

الرواية وإن كانت قديمة ومعروفة قبل الإســـلام إلا أن الرواة قبل الاسلام من العرب وغيرهم ما كـانـوا يهتمون بتصحيح الأخبار والتحرى عن رواتها، والبحث عن صدقها ، ومطابقتها للحق والواقع ولم يكن عندهم منصفة النقد والجرح والتعديل وتمحيص المرويـات مثل ما كان للرواية بعدالاسلام ، وذلك لأن مروياتهـم لم يكن لها من القداسة والتقدير ما للمرويات الاسلامية فمن ثم لم يدققوا فيها ولذلك تجد أغلبها أساطـــير وأحاديث خرافة يقصد بها إشباع الرغبة أو التسـلية ، أو بث روح الإقدام والشجاعة ، واستنهاض الهمـــم وإشارتها للحروب .

أما الرواة الإسلاميون فهم يعلمون حق العـلم أن مرجع الأحكام الشرعية والحلال والحرام الى القرآن الكريم والسنة النبوية ، ويعلمون أن التساهل فى زيادة شىء من الدين كالتساهل فى نقص شىء منه .

والقرآن ثابت بالتواتر المفيد للقطع واليقين ، فـلا

مجال للشك فيه فكان لابد لهم من التأكد من صحة نسبة الأحاديث والسنن الى رسول الله ﷺ .

فمن ثم شددوا فى الرواية ووضعوا لها شروطا وأصلوا لها أصولا وقواعد هى أدق وأرقى ما وصل اليه علم النقد قديما وحديثا ، فهذا القدر وهو الاعتناء بتصحيح الأخبار والتثبت منها ونقدها من جهة السند والمتن نقدا علميا صحيحا هو الذى اختصت به الرواية الاسلامية وحدها .

قال العلامة ابن حزم ـ رحمه الله ـ فى كتابه الملل والنحل ما خلاصته :

إن نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبى ﷺ مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الأمم .

وأما مع الإرسال والإعضال (١) فيوجد فى كثير من اليهود ، ولكنهم لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أزيد من ثلاثين عصرا فى أزيد من ألف وخمسمائة عام وإنما يبلغون بالنقل الى شمعون ونحوه .

---

(١) المرسل من الحديث: ما حذف من سنده الصحابى ، والمعضل: ما حذف من سنده أثنان فصاعدا على التوالى والارسال والاعضال يخلان باتصال السند .

وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق وحده فقط على أن مخرجه من كذاب قد ثبت كذبه .

وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير فى نقل اليهود والنصارى .

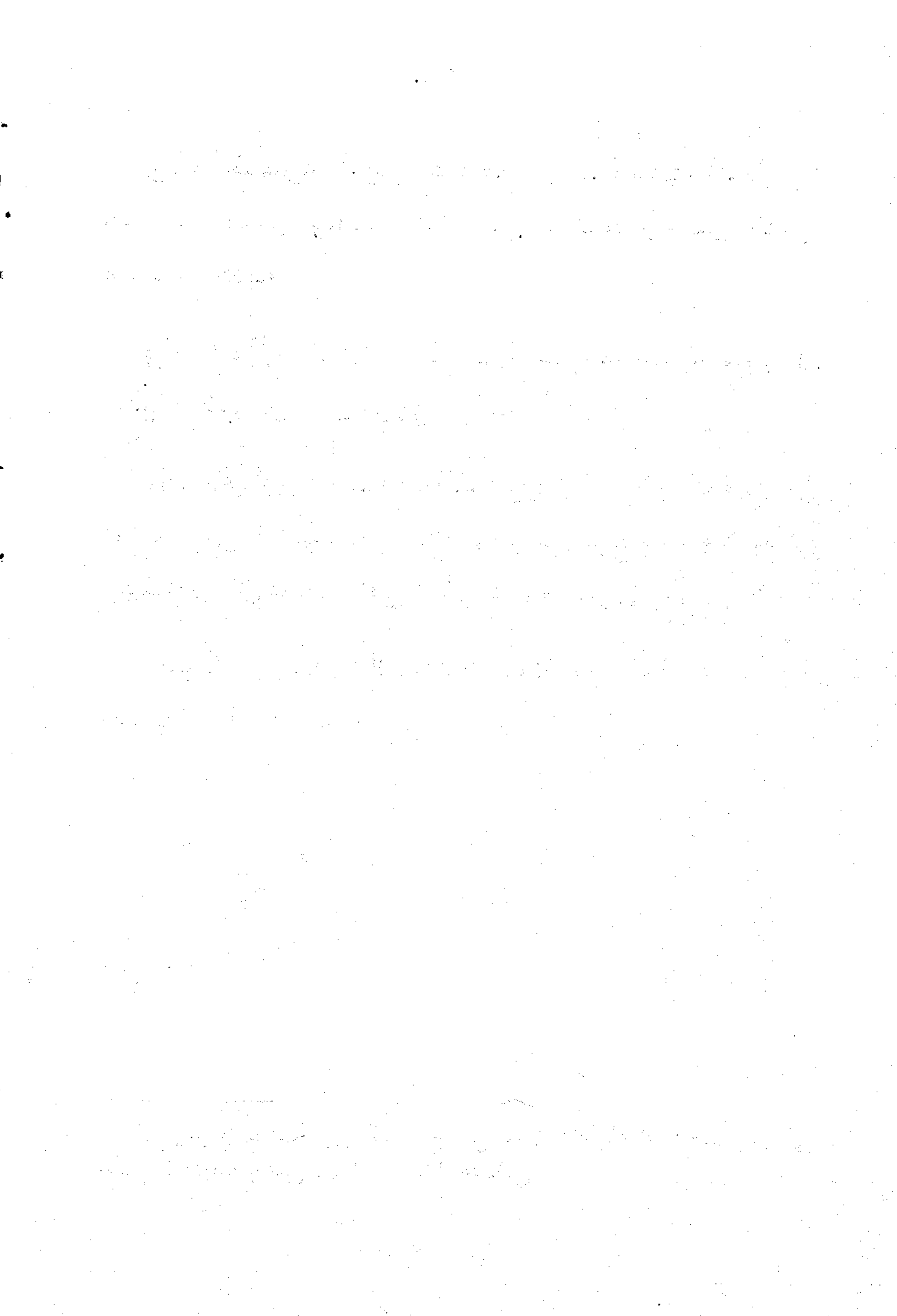
وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن اليهود أن يبلغوا الى صاحب نبى أصلا ولا الى تابع له ، ولا يمكن النصارى أن يصلوا الى أعلى من شمعون وبولس (١).

وهو كلام رجل عالم عارف بالملل والنحل ، وتاريخ الأديان والمذاهب .

● ● ●

---

(١) راجع مقدمة ابن الصلاح ص ٢١٥ « الباعث الحثيث الى علوم الحديث » ص ١٨٩ ، ١٩٠ هامش .



الاسـلام يدعو الى التثبت فى الرواية

الاسلام يدعو الى تعرف الحق ، وطلب الصواب ، وتحرى الصدق والتثبت فيما يسمعه المرء ويراه، وفيما ينقل اليه ، وقد استفاض بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية ، ففى الكتاب قال سبحانه : « يا أيها الـذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا [١] أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين [٢] » ، وقال: « ولا تقف ما ليس لك به علـم ، إن السـمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا [٣] » .

وحذر النبى ﷺ من الكذب بعامة ، والكذب عليـه بخاصة .

فمن ذلك الحديث المتواتـر الذى رواه الشـيخان وغيرهما عن النبى ﷺ قال : « إن كذبا على ليس ككذب

---

(١) فى قراءة حمزة والكسئاى « فتثبتوا » وهى متواترة والمعنى واحـد .
(٢) سورة الحجرات : ٦
(٣) سورة الاسراء : ٣٦

على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وقال : « من حدث بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين [1] .

وقال : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » رواهما مسلم فى صحيحه .

●●●

---

(١) روى « يرى » بضم الياء بمعنى يظن وبفتحها بمعنى يعلم و « الكاذبين » روى على صيغة التثنية والجمع .

التثبت فى عهد الصحابة

وعلى سنة التثبت فى الرواية ، والتحرى عن الرواة، والاستيثاق من المرويات سار الخلفاء الراشدون فقد كان أبو بكر وعمر يطلبان فى بعض المرويات شاهدا آخر مع الراوى ، وكان على اذا حدثه غيره استحلفه فاذا حلف صدقه ، وكان يقول : « حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتحبون أن يكذب الله ورسوله (١) » .

وقد اتبع هذا المنهج فى التثبت سائر الصحابة المكثر منهم فى الرواية والمقل ، فهذا عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - يقول : « كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع » ويقول : « ما أنت تحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم (٢) » وهى دعوة الى تحرى الحق والصدق ، وتخير ما يليق بحال السامعين ، وهو من أسس التربية الصحيحة التى سبق اليها الاسلام من منذ قرابة أربعة عشر قرنا .

---

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤ ، ٦ ، ١٠ ، ١٢
(٢) المرجع السابق ص ١٥

التثبت فى عهد التابعين ومن بعدهم

وسار على سنة التثبت من المرويات والتدقيق فيها التابعون ، ومن جاء بعدهم ، وقد وردت عنهم أقوال صريحة تدل على ذلك ففى صحيح الامام مسلم عن ابن سيرين قال : « إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم » .

وقال سفيان الثورى : « الإسناد سلاح المؤمن » ، وقال عبد الله بن المبارك « الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما يشاء » وقال الإمام الشافعى : « مثل الذى يطلب الحديث بلا إسناد كحاطب ليل » الى غير ذلك من النصوص الدالة على العناية بالأسانيد ، ونقد الرواة ، وتشريحهم تشريحا علميا دقيقا وقد قيض الله سبحانه للحديث فى كل عصر أئمة ناقدين فاقهين فنفوا عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ولولا هذا لوجد الزنادقة وأعداء الإسلام الفرصة سانحة للإفساد فى الدين ولإدخال فيه ما ليس منه .

الجمع والنقد سارا جنبا إلى جنب

وقد التزم الأئمة الجامعون للسنة والأحاديث غاية التحرى والتثبت فى الرواية ، واجتهدوا فى التوثيق من صحة كل حديث ، بل وكل حرف رواه الرواة ونقدوا أحوالهم ومروياتهم ، واحتاطوا أشد الاحتياط فى النقل فكانوا يحكمون بضعف الحديث لأقل شبهة فى سيرة الناقل الشخصية مما يؤثر فى عدالته ، فإذا اشتبهوا فى صدقه وعلموا أنه كذب فى شىء من كلامه رفضوا روايته، وسموا حديثه « موضوعا » وإن لم يعرف عنه الكذب فى الحديث ، مع علمهم بأنه قد يصدق الكذوب وهذا غاية الاحتياط فى الرواية .

وكذلك استوثقوا من حفظ كل راو ، وذلك بمقارنة رواياته بعضها ببعض ، وبروايات غيره فإن وجدوا خطأه أكثر من صوابه ضعفوا روايته وردوها ، وان كان لا مطعن عليه فى شخصه ولا فى عدالته ، وذلك خشية أن تكون روايته مما خانه فيها الحفظ أو غلبه السهو ، وقد أوفى المسلمون فى نقد الأسانيد ـ النقد الخارجى ـ على الغاية ولم يدعوا زيادة لمستزيد ،

اللهم إلا ما جد من المباحث النفسية التى تعين النــاقد على النقد، وكذلك عنوا بنقد المتون ـ النقد الداخلى ـ فحكموا على الحديث بالوضع أو النــــكارة اذا خالف العقل ، أو الحس ، أو القرآن أو الســـنة المتواترة أو المشهورة ، ولم يمكن التوفيق ، ومن كلامهم فى هذا : اذا رأيت الحديث يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع .

وقد حرروا القواعد والأصــول التى وضعوها لنقد الأحاديث ومعرفة المقبول منها من المردود ، وقد بذلوا فى تحقيق هــذه القواعــد عمليــا أقصى ما فى الوســع الإنسانى احتياطا لدينهم ولشريعتهم أن يدخل فيها ما ليس منها ، فكانت قواعدهــم التى ساروا عليها أصح القواعد للإثبات التاريخى ، وأعلاها وأدقها وأوفاها ، وإذا كان البعض قد أعرض عنها بل وطعن فيها فى هذه العصور المتأخرة فليس ذلك عن علم وبينة ، وإنما عن جهل وهوى .

الحيـاة السياسية فى القـرن الثالث

شهـد الثـلث الأخـير من العصر العـباسى الأول (١٣٢ - ٢٣٢) عصر قوة الخلفاء واستقلالهم بشئون الخلافة ، وحسن تدبيرهم لسياسة الدولة ، وعدم تركهم للعناصر الأجنبية من فرس وغيرهم الاستبداد بشئون الملك وسياسة الدولة .

أما بقية هذا القرن فقد شهد ضعف الخلفاء ، وغلبة الفرس والترك والديلم على شئون الدولة ، بل وتدخلهم فى تولية الخلفاء ، وعزلهم والانتقام منهم ، وقد كان من مظاهـر ضعف الخلفاء أن بدأ بعض الولاة الثائـرين بالاستقلال ببعض الأطـراف والأقاليم ، ونشوء بعض الدويلات الأخرى ، التى انفصلت عن الخلافة واستقلت استقلالا تاما أو ذاتيا .

● ● ●

الحياة الاجتماعية فى هذا القرن

وأما الحياة الاجتماعية فقد اتسعت رقعة الإسلام اتساعا عظيما ، ودانت له شعوب من كل جنس ولون ، ودان معظم هؤلاء به ، ومن لم يدن به وبقى على دينه فقد امتزج بالمسلمين ، وشاركهم فى ثقافتهم ، وصار هؤلاء وأولئك يجيدون اللغة العربية كأهلها ، وبها يكتبون ويؤلفون ، وقد مزج هؤلاء ثقافتهم بالثقافة الإسلامية ، وأظهروها فى ثوب عربى ، وكان للثقافة الإسلامية من ذلك ربح غير قليل وقد ضعف الوازع الدينى عن ذى قبل ، وانحلت العصبية العربية ، وظهرت عصبيات أخرى ، وشهد المجتمع الإسلامى ألوانا من الحياة الحضارية لم تكن معهودة من قبل كما جدت فيه مشاكل دعت العلماء الى التفكير فيها ، والبحث عن حلول لها ، وبيان حكم الشرع فيها .

●●●

الحياة العلمية فى هـذا القرن

لقـد بدأ تدوين العلوم فى القرن الثانى وفى القـرن الثـالث أخذت الحـركة التدوينية فى التقـدم تقـدما ملموسا ، بل بعض العلوم كالحديث بلغ التدوين فيه أقصاه ومداه فى هذا القرن ، وقد شهد هذا القرن دور تهذيب التدوين وتنظيمه ، وتمييز العلوم بعضها عن بعض من تفسير ، وحديث ، وفقه ،ولغة ، وأدب وغيرها وألفت فيه عشرات الكتب فى هذه الفنون كما شهد هذا القرن تقدم البحث فى العلوم العقلية من فلسفة ، وطب، وفلك ومنطق ورياضـة ، ونحوها فقـد تـرجمت الى العربية كثير من كتب اليونان وغيرهم فى هذه العلوم فىهذا القرن ، وقد هضم العلماء العرب هذه العلـوم والمعارف ، وأضافوا إليها بعض معارفهم ، وأخرجوا لنا منها عصارة شهية سائغة للشاربين . وهكذا نرى أن هذا القرن يعتبر عصراً ذهبيا فى جميع العلوم والمعارف ،ولا سيما جمع الحـديث وتدوينه ، وأن الضعف السياسى الذى طرأ على الخلافة لم يكن له أى أثر فى تقدم العلوم

والمعارف ، بل أخـذ العلماء يجدون السير فى طريقهم الى غرضهم السامى لا يلوون على شىء •

هـذا ولنأخذ فى الـكلام عن أصحاب الـكتب الستة وكتبهم التى اشتهروا بها ، وبيان قيمتها العلمية فنقول وبالله التـوفيق •

● ● ●

الامـــام البخـــارى

١٩٤ - ٢٥٦ هـ

نسبه :

هو أمير المؤمنين فى الحديث الإمام أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (١) كان جده بردزبه مجوسيا على دين قومه ثم أسلم ولده المغيرة على يد اليمانى الجعفى والى بخارى (٢) فى هذا الوقت فنسب إليه ولاء (٣) فمن ثم قيل فى نسبه « الجعفى » .

وأما جده إبراهيم فلم نقف على شىء من أخباره ، وأما والده اسماعيل فكان عالما جليلا سمع من حماد

---

(١) بردزبه بفتح الباء الموحدة وسكون الراء ، وكسر الدال بعدها زاى ساكنة قيل معناه بالفارسية « الذراع » ، وهذا هو المشهور فى ضبطه وقيل غير ذلك « مقدمة فتح البارى ج ٢ ص ١٩٣ » ط منير.

(٢) بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام « وفيات الأعيان » وهى من الاقليم المعروف بتركستان الغربية ومن مدن هذا الاقليم : سمرقند ، وفرغانة ، وطاشقند ، وهى تحت الحكم الروسى الآن والى بخارى نسب الامام .

(٣) ولاء اسلام لا ولاء عتق عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص فولاؤه له والولاء نوع من الروابط التى جعلها الاسلام لتوثيق عرى الوحدة ، وتأكيد الأخوة بين المسلمين .

ابن زيد ، والإمام مالك ، وروى عنه العراقيون ، ذكر له ابن حبان ترجمة فى (كتاب الثقات) وترجم له ابنه أبو عبد الله الإمام فى (التاريخ الكبير) .

وقد جمع والده الى العلم الورع والتقوى روى عنه أنه قال عند وفاته : (لا أعلم فى مالى درهما من حرام ولا من شبهة) .

فالبخارى من بيت علم ، ودين وورع ، فلا عجب أن ورث هذه الخلال الكريمة فيما ورث عن أبيه .

مولده ونشأته :

ولد الإمام البخارى يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة ببلدة بخارى .

وقد مات أبوه وهو صغير فكفلته أمه ، وأحسنت تربيته ، وقد كان له من مال أبيه الذى تركه له ما أعانها على تنشئته نشأة كريمة صالحة ، وقد لاحظته العناية الإلهية من صغره ، فقد روى أنه أصيب فى عينيه وهو صغير فحزنت أمه لذلك حزنا شديدا ، ولجأت الى ربها

بالدعاء ، فرأت فى المنام الخليل إبراهيم عليه السلام يقـول لها : يا هذه قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعـائك ، فأصبح وقد رد الله عليه نـور عينيه فتبدل حزنها سرورا •

نبوغه المبكر :

وقد ظهر نبوغه من صغره وهو فى « الكتاب » فرزقه الله سبحانه قلبا واعيا وحافظة قوية ، وذهنـا حادا ، وألهم حفظ الحـديث ، وأخـذ منه بحظ كبير ولما يبلغ العاشرة من عمره ، ثم صار يختلف الى علماء عصره ، وأئمة بلده ، فأخذ عنهم وصار يراجعهم ويناقشهم وما إن بلغ السادسة عشرة من عمره المبارك حتى حفظ كتب ابن المبارك ، ووكيع ، وعرف كـلام أهل الـرأى ، وأصولهم ومذهبهم •

خروجه الى الحرمين :

وفى سنة عشر ومائتين خرج الى بيت الله الحرام حاجا هو وأمه وأخوه أحمد ، وكان أسن منه وقد رجع أخوه الى بخارى ، أما هو فقد آثر المقام بمكة ، وكانت مكة

من المراكز العلمية المهمة فى الحجاز ، وقد وجد فيها طلبته ، وما يشبع نهمه للعلم والمعرفة ، وكان يذهب الى المدينة بين الحين والحين ، وفى الحرمين الشريفين ألف بعض كتبه ، ووضع أساس الجامع الصحيح وتراجمه ، وقد ألف التاريخ الكبير عند قبر النبى ﷺ ، وكان يكتبه فى الليالى المقمرة وتواريخه الثلاثة : الصغير ، والأوسط ، والكبير ، تنم عن قدرته الفائقة فى العلم بالرجال ، والبصر بالنقد ، حتى كان يقول : قل اسم فى التاريخ إلا وله عندى قصة .

ارتحاله الى الآفاق :

وقد ضرب الامام فى باب الارتحال بسهم راجح ، وقل قطر من أقطار الاسلام إلا وله اليه رحلة ، روى عنه أنه قال : « دخلت الى الشام ، ومصر ، والجزيرة مرتين والى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصى كم دخلت الى الكوفة ، وبغداد ، مع المحدثين » .

وقد كانت بغداد آنئذ بلد الخلافة وموئل العلم والعلماء ، وفيها التقى بالامام أحمد بن حنبل مرارا ،

وكثيرا ما كان يحثه على الاقامة بها ويلومه على الاقامة بخراسان ، وفى كل هذه الرحلات المتتابعة المضنية كان البخارى دائبا على جمع الأحاديث والعلم ، وتقييد معارفه بالكتابة ، فقد كان يستيقظ فى الليلة الواحدة من نومه ، يوقد السراج ، ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفىء سراجه ، وقد يفعل ذلك قريبا من عشرين مرة فى الليلة الواحدة ، وهكذا يكون الإخلاص للعلم، والتفانى فى سبيل المعرفة .

ما حدث بينه وبين الذهلى :

وفى سنة خمسين ومائتين ذهب الى نيسابور فتلقاه أهلها بالترحاب ، وشارك فى ذلك شيخه الذهلى والعلماء ، روى عن مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح أنه قال : « لما قدم محمد بن اسماعيل نيسابور ما رأيت واليا ولا عالما فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به ، استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث [١] وقال محمد ابن يحيى الذهلى : من أراد أن يستقبل محمد بن

---

(١) المرحلة : المسافة التى يقطعها المسافر فى نحو يوم وهى نحو ٤٤ ك.م. تقريبا « المصباح المنير » .

اسماعيل غـدا فليستقبله فإنى أسـتقبله ، فاسـتقبله محمد بن يحيى الذهلى وعامة علماء نيسابور فدخل البلد ، فنزل دار البخاريين ، وقد مكث مدة يحـدث على الدوام ، وكان الذهلى يوصى النـاس بالاستماع اليه فقد روى عنه أنه قال : اذهبوا الى هذا الرجـل الصالح العالم فاسمعوا منه » •

● ● ●

الفتنــــــة

ثم نفس عليــه بعض الحاسدين وشغبوا عليـــه ، وزعموا أنه قال بخلق القرآن وبسبب هذا حدث بينه وبين شيخه الذهلى جفاء وقطيعة ، حتى لقـــد قال الذهلى : من زعم : لفظى بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يجالس ، ولا يكلم ، ومن ذهب بعد هذا الى مجلسه فاتهموه ، فانقطع الناس عنه إلا مسلما وأحمد بن سلمة فقال الذهلى : ألا من قال باللفظ فلا يحضر مجلسنا ، وكأنه كان يريد الامام مسلما لأنه كان يتردد الى الامام البخارى ، فأخذ مسلم رداءه وقام من مجلســه عــلى رءوس الناس ، فبعث الى الذهلى جميع ما كان كتبه عنه على ظهر حمال .

البخارى برىء من هذه التهمة :

وفى الحق أن البخارى برىء من هذه التهمة ، فقد روى أن رجلا قام اليه فسأله : ما تقول فى اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخارى ولم يجبه « ثلاثا » فألح عليه الرجل فقال البخارى : القرآن

كلام الله غير مخلوق ، وأفعال العباد مخلوقة ، والامتحان بدعة ، ومراده بأفعال العباد قراءتهم وتلفظهم ، وهذا الذى قاله الامام هو الذى عليه المحققون والسلف من التفرقة بين المقروء والقراءة ، ولكن الحسد يعمى ويصم .

وقد ثبت عن البخارى أنه كان يقول : الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص ، والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وأفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، على هذا حييت ، وعليه أموت ، وعليه أبعث إن شاء الله ، وثبت عنه أنه قال : من زعم أنى قلت : لفظى بالقرآن مخلوق فهو كذاب (١) ، وقد اشتد غضب الذهلى عليه حتى قال : لا يساكننى هذا الرجل فى البلد فرأى البخارى أن الخير فى الخروج منها حفاظا على نفسه ، ورغبة فى القضاء على الفتنة فخرج (٢) .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤ ، وانظر شروط الأئمة الخمسة ص ٢٢ هامش .

(٢) ومع كل ماجرى من الذهلى فقد أخرج البخارى حديث الذهلى فى صحيحه الا أنه كان يقول : حدثنا محمد أو حدثنا محمد بن خالد ينسبه الى جده ، أخذا بعلمه ودفعا لما يتوهم من أن شيخه محق فى طعنه فيه لو صرح باسمه ، فانظر كيف بلغ السمو النفسى بالبخارى .

الى بخارى :

فخرج من (نيسابور) عائدا الى بلده (بخارى)، فاحتفل الناس بمقدمه ونصبت له القباب على فرسخ [١] من البلد ، واستقبله أهلها جميعا ، ونثروا عليه الدراهم والدنانير ، فبقى بها مدة يحدث ويعلم ثم وقع بينه وبين أمير بخارى (خالد بن أحمد الذهلى) ما عكر الصفو وكان سبب ذلك اعتزاز الامام بالعلم ، ذلك أن خالدا هذا بعث اليه أن احمل الى كتاب (الجامع) و (التاريخ) لأسمع منك فقال الامام للرسول : قل له : إنى لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب السلاطين ، فإن لم يعجبك هذا ، فأنت سلطان فامنعنى من المجلس، ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة انى أكتم العلم ، فاستعان الأمير بمن شغب عليه ، وتكلم فيه ، فاتخذ من ذلك ذريعة لنفيه ، فنفاه من البلد ، وقد دعا عليه الامام ، وكانت دعوة مظلوم تفتحت لها أبواب السماء فلم يمض شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على خالد بن أحمد على أتان [٢] وأشخص على إكاف [٣] ، وكان عاقبة أمره ذلا وحبساً) .

---

(١) الفرسخ ثلاثة أميال .
(٢) الأتان : الحمارة .
(٣) اكاف : برذعة .

وفاتـه :

أما البخارى فقد كتب إليه أهل (سمرقند) يطلبونه إلى بلدهم ، فسار إليهم ، فلما كان (بخرتنك) وهى قرية على فرسخين من (سمرقند) ، وكان له أقارب بها ، فنزل عليهم ، فاتفق أن مرض بها وتوفى ٠

وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين عن اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما ، وكان أوصى قبل وفاته أن يكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ، فامتثل القوم ودفن بعد ظهر يوم عيد الفطر بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال ، وطول السفر والارتحال ، فرضى الله عنه وأرضاه ٠

شـيوخـه :

وقد أتاحت له رحلاته لقاء الشيوخ الذين هم محل الثقة والأمانة ، والذين بلغوا حد الكثرة الكاثرة روى عنه أنه قال : « كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم إلا صاحب حديث ، ولم أكتب إلا عمن قال : « الإيمان قول وعمل » ومن أعيان شيوخه : على بن المدينى ،

وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، ومحمد بن يوسف الفريابى ، ومكى بن ابراهيم البلخى ، ومحمد بن يوسف البيكندى ، وابن راهويه ، وعدد من شيوخه الذين خرج عنهم فى الصحيح ٢٨٩ شيخا .

تلاميذه :

وقد روى عنه خلائق لا يحصون حتى قيل إنه سمع منه الصحيح تسعون ألفا (١) من أعيانهم مسلم بن الحجاج ، والترمذى ، والنسائى ، وابن خزيمة ، وابن أبى داود ، ومحمد بن يوسف الفربرى (٢) ، وابراهيم ابن معقل النسفى ، وحماد بن شاكر النسوى ، ومنصور ابن محمد البزدوى ، وهؤلاء الأربعة هم أشهر رواة الصحيح عنه .

البخارى رزق حافظة وذكاء نادرين :

كان البخارى فى حفظه ، وذكائه ، وعلمه بالرجال، وعلل الحديث آية من آيات الله فى الأرض ، وقد حفظ الله سبحانه به وبأمثاله من أئمة الحديث الجامعين له

---

(١) مقدمة فتح البارى ج ٢ ص ٢٠٤
(٢) فربر بكسر الفاء وفتح الراء وسكون الياء قرية ببخارى .

سنة نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وقد روى عنه أنه قال : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتى ألف حديث غير صحيح (١) .

وليس أدل على حفظه وسعة اطلاعه وتوقد ذهنه مما حدث له لما قدم بغداد ، فقد اجتمع عليه علماء بغداد ، وأرادوا امتحانه فعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها يعنى جعلوا متن هذا لإسناد ذاك وإسناد هذا لمتن ذاك ـ ثم أعطوا كل واحد منهم عشرة أحاديث منها ، فألقى عليه الأول العشرة التى عنده فكان كلما ذكر حديثا قال له البخارى : لا أعرفه ، وهكذا حتى انتهى العشرة من سرد ما عندهم فصار الجهلاء من الحاضرين يحكمون على البخارى فى أنفسهم بالعجز والتقصير ، وأما العلماء منهم فيقولون : فهم الرجل،

---

(١) ليس المراد بهذه الألوف الكثيرة انها كلها احاديث متغايرة كما يظن البعض ، وانما هى طرق متعددة للاحاديث ، وقد يروى الحديث الواحد بعشرات الأسانيد فتعتبر هذه الأسانيد بمثابة الأحاديث ، وما هى فى الحقيقة والواقع الا طرق لحديث واحد ، فيتخير اى امام منها أصحها وأوثقها فى نظره ، ويدع ماعدا ذلك ، وقد يكون فيما ذكره ما ليس صحيحا عند غيره ، وقد يكون فيما تركه ما هو صحيح فى الواقع، وأيضا فيدخل فى هذه الألوف آثار الصحابة والتابعين وغيرهم، فكن على ذكر من ذلك حتى لا يشكل عليك الأمر فى مثل هذا .

ثم التفت البخارى الى الأول فقال له : أما حديثك الأول فصحته كذا ، وأما حديثك الثانى فصحته كذا ، حتى انتهى من ذكر أحاديثه العشرة ، ثم التفت الى الثانى والثالث وهكذا الى العاشر ، يذكر الحديث المقلوب، ثم يذكر صحته ، فلم يجد علماء بغداد بدا من الاعتراف له بالحفظ والتبريز والإمامة ٠

وعلق بعض الحاضرين لهذا الامتحان القاسى فقال : ليس العجب من إدراكه الصواب ولكن العجب سرده للأحاديث على الترتيب الذى سمعه من الممتحنين من مرة واحدة ٠

وكان البخارى يقول : لا أجىء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروى من حديث الصحابة والتابعين - يعنى من الموقوفات - إلا وله أصل أحفظ ذلك عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ٠

ثناء الأئمة عليه :

فلا عجب ، والبخارى بهذه المنزلة من العلم والحفظ أن أثنى عليه شيوخه وأقرانه ومن جاء بعده ، سأل

رجل قتيبة بن سعيد عن البخارى فقال : يا هؤلاء نظرت فى الحديث، ونظرت فى الرأى ، وجالست الفقهاء والعباد والزهاد ، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن اسماعيل ، وشهد له إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة فقال : ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد ابن اسماعيل ، وأثنى عليه أقرانه قال أبو حاتم الرازى : لم تخرج خراسان قط أحفظ من محمد بن اسماعيل ولا قدم منها الى العراق أعلم منه وروى الحاكم بسنده أن مسلما صاحب الصحيح جاء الى البخارى فقبله بين عينيه وقال : دعنى حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث فى علله ، أما ثناء من جاءوا بعده فيكفى فيه قول الحافظ بن حجر « ولو فتحت باء الثناء عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ، ونفدت الأنفاس ، فذلك بحر لا ساحل له (١) » .

صفاته الخلقية والخلقية :

كان البخارى رجلا نحيف الجسم ، بين الطويل والقصير ، يميل الى السمرة ، متقللا من المآكل جدا

---

(١) مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٩٦ — ٢٠٢

وكان غاية فى الحياء والكرم والسخاء والزهد فى الدنيا، والرغبة فى الآخرة ، وكان له مال كثير ينفق منه سرا وجهرا ولاسيما فى طلب العلم ، وعلى طلبته ، فقد كان يجزل لهم العطاء روى أنه قال : كنت استغل كل شهر خمسمائة درهم فأنفقها فى الطلب ، وما عند الله خير وأبقى .

وكان فى غاية العفة فى القول ، وتحرى الحق فى نقد الرجال ، وقد يقول فى الرجل الذى يعرف كذبه :

« فيه نظر » .

« تركوه » .

« سكتوا عنه » .

وأصرح ما قاله فى رجل « منكر الحديث » .

ومع عفته فى النقد كان يترك أحاديث الرجل لمجرد الشك فيه ، روى عنه أنه قال : « تركت عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره لى فيه نظر » .

والإمام البخارى مثل يحتذى بـه فى النقـد العف النزيه ، فما أجدر النقاد بالاقتداء به ٠

اعـتزازه بعلمه :

وكان البخارى شريف النفس ، موفور الـكرامة ، شديد الاعتزاز بالعلم يصونه عن الابتذال والسـعى به الى بيوت الأمراء والسلاطين ، وقد مرت قصته آنفـا مع والى بخارى خالد بن أحمد الذهلى وإبائه أن يذهب اليه ليقرأ عليه وعلى بنيه الجامع الصحيح والتـاريخ، وهذه سمة العلماء الربانيين الذين لا يخشون إلا الله ، ولا يبذلون العلم طمعا فى الدنيا والجاه ، وما أكـثر هؤلاء فى تاريخ الاسلام ، ولاسيما فى عصوره الذهبية الأولى ٠

إجـادته للـرأى :

وقد تعلم البخارى الرمى وحذقه حتى قيل ، إنه مـا أخطأ فى حياته المرمى إلا مرتين وهو فى ذلك يصـدر عن ائتمار بالسنة التى تحبب فى الرمى وفنون الحرب وتعلمها وكان غرضه بهذا أن يكون على استعداد لقتال

أعداء الاسلام ، والدفاع عن حماه ، وهكذا ينبغى أن يكون العلماء يدافعون عن الإسلام باللسان ، ويعدون أنفسهمللجهاد حتى اذا ما دعا داعى الجهاد كانوا أسرع الناس الى استجابة النداء ، ولقاء الأعداء .

وفى تاريخ الاسلام كثير من أئمة العلم كالعز بن عبد السلام ، وتقى الدين أحمد بن تيمية ، كان لهم أكبر الأثر فى إثارة الحمية فى النفوس ، وكسب المواقع الفاصلة .

مؤلفاته :

للإمام البخارى مؤلفات كثيرة أشهرها :

(١) الجامع الصحيح .
(٢) الأدب المفرد .
(٣) التاريخ الصغير .
(٤) التاريخ الأوسط .
(٥) التاريخ الكبير .
(٦) التفسير الكبير .
(٧) المسند الكبير .

(٨) كتاب العلل .
(٩) رفع اليدين فى الصلاة .
(١٠) بر الوالدين .
(١١) كتاب الأشربة .
(١٢) القراءة خلف الإمام .
(١٣) كتاب الضعفاء .
(١٤) أسامى الصحابة .
(١٥) كتاب الكنى .

وهذه الكتب منها ما هو موجود مطبوعا أو مخطوطاً ومنها ما عرف بذكر بعض الأئمة له ونقلهم عنه (١) .

وأحفل هذه المؤلفات وأبقاها على الزمان الجامع الصحيح ، وسنفيض القول فيه .

(١) مقدمة الفتح ج ٢ ص ٢٠٤

الجامع الصحيح

كان الأئمة قبل البخارى لا يقصرون مؤلفاتهم على الأحاديث الصحيحة ، بل كانوا يجمعون بين الصحيح والحسن والضعيف ، تاركين التمييز الى معرفة القارئين والطالبين بنقد الأحاديث ، والتمييز بين المقبول والمردود ، الى أن جاء البخارى فرأى أن يخص الصحيح بالتأليف ، فألف كتابه الصحيح ، وسماه ٠

« الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » ٠

وبذلك يكون الإمام البخارى قد خطا بالتأليف فى الحديث خطوة موفقة يسرت معرفة الحديث والاحتجاج به على الطالبين ، ولا سيما المتأخرين ٠

الحامل له على تأليف الصحيح :

وقد وجهه الى هذا العمل الجليل كلمة سمعها من أستاذه اسحاق بن راهويه ، روى عن البخارى أنه قال :

كنت عند اسحاق بن راهويه فقال : لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ ، قال : فوقع فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح ، وقد قوى عنده العزم رؤيا رآها فقد روى عنه أنه قال : رأيت النبى ﷺ وكأنى واقف بين يديه ، وبيدى مروحة أذب بها عنه ، فسألت بعض المعبرين فقال لى : أنت تذب الكذب عن حديث رسول الله ﷺ ، فهو الذى حملنى على إخراج الجامع الصحيح .

منهج البخارى فى جمع الصحيح :

لقد نهج البخارى فى جمع صحيحه منهجا يدعو الى الثقة والاطمئنان الى صحة أحاديثه ، وقد بالغ فى التحرى عن الرواة ، والتوثق من صحة المرويات، وبذل فى هذا أقصى ما وصل اليه الجهد الانسانى ، وما زال يوازن بين المرويات ، ويمحصها ، ويتخير منها ما تركن اليه نفسه حتى صار كتابه الى الحالة التى هو عليها تحريا وتنقيحا، يدل على ذلك ما روى عنه أنه قال : صنفت هذا الجامع من ستمائة ألف حديث (١) فى ست عشرة سنة .

---

(١) كن على ذكر مما ذكرناه سابقا فى تعليل هذه الكثرة المتكاثرة. راجع ص ٦٨ « الاشراف الفنى » .

ومع أن البخارى اتبع فى جمع صحيحه قواعد البحث العلمى الصحيح فقد استلهم الجانب الروحى من نفسه، قال تلميذه الفربرى سمعت محمد بن اسماعيل البخارى يقول : « صنفت كتاب الجامع فى المسجد الحرام ، وما أدخلت فيه حديثا إلا استخرت الله ، وصليت ركعتين ، وتبينت صحته » .

ومراده أنه بوب أبوابه ، ووضع أساسه فى المسجد الحرام ، ثم بيض تراجمه ، وأصوله فى الروضة (١) بين قبر النبى ﷺ ومنبره ، ثم صار يجمع ما يتيسر له من الأحاديث ، ويضعها فى أبوابها اللائقة بها فى الحرمين وغيرهما من البلاد التى ارتحل اليها ، وقد مكث فى تأليف صحيحه ست عشرة سنة ، وهو يحرر ويدقق ، وينتقى ويتخير ما هو على شرطه حتى جاء كتابه على ما أحب ، ويحبه طلاب الحقيقة ، ورواد البحث .

وبذلك اجتمع لهذا الكتاب الصحيح من دواعى التوفيق الى الحق والصواب ما لم يجتمع لغيره ، فلا

---

(١) فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحه « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

عجب أن كانت له منزلة سامية فى نفوس العلماء ، وأن تلقته الأمة الإسلامية بالقبول والاطمئنان الى ما فيه ، وإن استحق أن يطلق عليه « أنه أصح الكتب المدونة فى الحديث النبوى » .

براعة البخارى فى النقد :

وللإمام البخارى فى تعديل الرجال وتجريحهم، ونقد المتون ، ونقد الرواية شروط عالية دقيقة ، وشفوف نظر ، وملكة عجيبة اكتسبها من طول ما بحث ونقد ، ومن طول ما عرض له من علل الأسانيد والمتون وذلك كالنطاسى البارع الذى يحصل له من طول ملازمته لمهنة الطب وكثرة ما عرض عليه من الأمراض ، نوع من العلم ، قد يصل الى حد الإلهام بالعلل والأمراض ، والوقوف على حقيقتها ومكامنها مهما كانت خفية ، أو كانت عوارضها غير واضحة .

وكالصيرفى الماهر الذى اكتسب بطول ملازمته الصيرفة التمييز بين النقود الجيدة السليمة ، والنقود الزائفة وربما تسأله عن السبب فى الحكم عليها فلا يجيب ، وهذه الملكة فى التمييز بين الصحيح من الحديث

والعليل تكاد تكون عند معظم أئمة الحديث وجهابذته، وإن كانوا يتفاوتون فيها على حسب الأصالة فى النقد والاستعداد ، وسعة الاطلاع ولعلك لمحت هذا التنظير بين المحدثين والأطباء فى كلمة الإمام مسلم للبخارى آنفا : « يا أستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث فى علله » وبين المحدثين والصيارفة فى تعبيرهم عن نقاد الحديث : « صيارفته » .

شروط البخارى فى التصحيح فى القمة :

من المعروف المقرر عند أئمة الحديث وعلمائه أن شروط الحديث الصحيح : أن يكون راويه مسلما ، عاقلا ، صادقا ، غير مدلس ولا مختلط (١) ، متصفا بصفات العدالة (٢) ضابطا لما يرويه ، متحفظا عليه ،

---

(١) المدلس : هو الذى يروى عمن عاصره ما لم يسمعه منه موهما انه سمعه منه ، والمختلط : هو الذى طرا عليه كثرة الغلط أو الخطأ بسبب كبر سن أو عمى أو ضياع كتبه مثلا .

(٢) العدالة : ملكة اى حالة نفسية راسخة تحمل على ملازمة التقوى ، والمروءة ، والتقوى : امتثال المأثورات واجتناب المنهيات فلا يفعل كبيرة ولا يصر على صغيرة ، ولا يكون مبتدعا بدعة تخل بعدالته ، والمروءة : آداب نفسانية يحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات فيترفع عن صغائر الخسية ، والمباحات التى تواضع العرف على اخلالها بالكرامة .

سليم الذهن والحواس التى لابد منها فى السماع والضبط قليل الوهم ـ الغلط ـ سليم الاعتقاد .

وأن يكون إسناده (١) متصلا ، فلا ارسال فيه ، ولا انقطاع ، ولا إعضال (٢) وأن يكون متن الحديث غير شاذ ، ولا معلل (٣) .

فاذا اجتمعت هذه الشروط فى الحديث كان صحيحا يعنى فى نسبته الى قائله وترجح ترجحا قويا فى صدق هذه النسبة يكاد يصل عند أهل هذا الفن المتمرسين فيه الى حد العلم واليقين .

ومن ثم يتبين لنا أن الشروط التى وضعها المحدثون لصحة الحديث تقتضى الثقة والطمأنينة ، وترجح جانب الصدق على الكذب ، والصواب على الخطأ ومما ينبغى

---

(١) السند والاسناد : هم الرواة الذين يروون الحديث .

(٢) المرسل من الحديث : ما حذف من سنده الصحابى ، والمنقطع ما حذف من سنده راو واحد غير الصحابى ولو فى مواضع ، والمعضل ما حذف من سنده اثنان فأكثر على التوالى .

(٣) الشاذ : هو الحديث الذى خالف فيه الثقة من هو أوثق منه، والمعلل ما اطلع فيه على علة خفية غامضة تطعن فى صحة الحديث .

أن يعلم أن البخارى لم ينقل عنه أنه قال : شرطى فى صحيحى كذا وكذا على التفصيل والتصريح كما يصنع بعض المؤلفين ، وإنما عرف ذلك من سبر [١] كتابه ، والبحث فيه والذى استخلصه العلماء بعد البحث والتتبع أن الإمام البخارى فى صحيحه التزم أعلى درجات الصحة ، ولا ينزل عن هذه الدرجة إلا فى بعض الأحاديث التى ليست من أصل موضوع الكتاب كالمتابعات والشواهد [٢] والأحاديث المروية عن الصحابة والتابعين .

وليس من شك فى أن الرواة يتفاوتون فى الأخذ عن شيوخهم إتقانا وضبطا ، وطول ملازمة ومصاحبة وقلة ذلك ، كما يتفاوتون فى العدالة والأمانة ، والبخارى فى صحيحه إنما يعتمد من الرواة من كانوا فى أعلى الدرجات من هذه الصفات وسأوضح ذلك بمثال : ذلك أن تلامذة الإمام الزهرى مثلا على خمس طبقات ودرجات ولكل طبقة مزية على التى تليها : الطبقة الأولى هم : الذين امتازوا بالعدالة والحفظ والإتقان

---

(١) اختبرها وتعرف عليها .

(٢) المتابعة : موافقة راو لراو آخر فى رواية لفظ الحديث ، والشاهد : الحديث الذى يوافق حديثا آخر فى معناه .

والأمانة ، وطول الملازمة للزهرى فى السفر والحضر مثل : مالك : وسفيان بن عيينة ورجال هذه الطبقة هم مقصد البخارى فى صحيحه .

الطبقة الثانية (١) وهم الذين شاركوا الأولى فى التثبت والأمانة إلا أن رجال الأولى امتازوا بطول المصاحبة للزهرى سفرا وحضرا ، أما رجال الثانية فلم يلازموا الزهرى إلا مدة يسيرة فكانوا فى الإتقان والمعرفة بحديثه دون الأولى ، وذلك مثل : الأوزاعى والليث بن سعد ورجال هذه الدرجة الثانية يعتمد رواياتهم الإمام مسلم أما البخارى فلا يخرج من أحاديثه إلا قليلا فى غير أصول الكتاب كما ذكرنا آنفا .

الطبقة الثالثة : وهم من دون الثانية مثل : جعفر ابن برقان وزمعة بن صالح فلا يخرج لهم البخارى أصلا وقد يخرج لهم فى المتابعات والشواهد .

أما رجال الطبقة الرابعة والخامسة وهم المجرحون والضعفاء فلا يخرج لهم البخارى ومسلم .

وهكذا يتبين لنا أن شرط البخارى فى صحيحه فى القمة .

---

(١) الطبقة : هم الرواة الذين تقاربوا فى السن ولقاء الشيوخ .

البخارى حافظ وفقيه مجتهد :

إن مهمة جامعى الحديث وحفاظه الأساسية هى جمع السنة وحفظها من الضياع ولم تكن مهمتهم الفقه واستنباط الأحكام ، فتلك وظيفة الفقيه ، ولكن البخارى لم يخل كتابه من الفوائد الفقهية والأحكام والآداب ، فاستخرج بفهمه من المتون معانى كثيرة فرقها فى أبواب كتابه بحسب مناسباتها ، كما اعتنى فيه بذكر بعض الآيات القرآنية التى لها صلة فقهية أو لغوية بالموضوع الذى يترجم له ، وما ورد عن السلف فى تفسير الآيات، ويتجلى فقه البخارى فى إيراده لبعض المسائل لا على سبيل القطع اذا كان فى المسألة اختلاف ولم يترجح أحد الآراء عنده كقوله : باب . هل يكون كذا ؟ أو من قال كذا ؟ وفى إيراده لأقوال بعض الصحابة أو التابعين التى تشهد لرأى، أو ترجح رأيا على رأى ، وفى تعليقاته الدقيقة التى يتبع الأحاديث بها فيقول : قال أبو عبد الله ـ يريد نفسه ـ كذا وكذا ، وأكثر ما يتجلى فقهه فى التراجم ولذلك قيل : « فقه البخارى فى تراجمه » .

وقد ذكروا أن البخارى كان شافعيا ، وقد عده الامام السبكى فى « طبقات الشافعية » .

والذى يترجح عندى أنه كان فقيها مستقلا بالاجتهاد ولم يكن مقلدا وله استنباطات تفرد بها ، وآراؤه أحيانا توافق مذهب أبى حنيفة ، وأحيانا مذهب الشافعى ، وأحيانا تخالفهما ، وتارة يختار مذهب ابن عباس ، وتارة أخرى مذهب مجاهد وعطاء الى غير ذلك والخلاصة أنه كان حافظا بارعا وفقيها مجتهدا ، وإن كان الذى غلب عليه الحفظ لا الفقه .

طريقة البخارى فى تنظيم كتابه :

قسم البخارى كتابه الى كتب .

والكتب الى أبواب بدأه ببدأ الوحى ، لأنه الأساس لكل الشرائع .

ثم ذكر كتاب الإيمان ، ثم العلم ، ثم الطهارة ، ثم كتاب الصلاة ، ثم كتاب الزكاة .

واختلفت النسخ فى الصوم والحج أيهما قبل الآخر ؟

ثم كتاب البيوع ، وبعد أن انتهى من المعاملات ذكر

المرافعات ، فذكر كتاب الشهادات ، ثم كتاب الصلح ، ثم كتاب الوصية والوقف ، ثم كتاب الجهاد ، ثم عرض لأبواب غير فقهية مثل بدء الخلق وتراجم الأنبياء والجنة والنار ، ثم مناقب قريش ، وفضائل الصحابة.

ثم ذكر السيرة النبوية والمغازى وما إليها ، ثم كتاب التفسير ، ثم عاد إلى الفقه من نكاح وطلاق ونفقات ، ثم كتاب الأطعمة ، ثم كتاب الأشربة ، ثم كتاب الطب، ثم كتاب الأدب والبر والصلة والاستئذان ، ثم كتاب النذور والكفارات ، ثم كتاب الحدود والإكراه ، ثم كتاب تعبير الرؤيا ، ثم كتاب الفتن ، وكتاب الأحكام، وذكر فيه الأمراء والقضاة ، ثم كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، ثم كتاب التوحيد ، وبذلك تم الكتاب .

وعدة كتبه (٩٧) كتابا .

وعدة أبوابه (٣٤٥٠) بابا .

ومما ينبغى أن يعلم أن النسخ كما اختلفت فى تقديم بعض الكتب والأبواب على بعض ، اختلفت فى اعتبار بعض الكتب أبوابا ، وبعض الأبواب كتبا كما يعلم

ذلك من مراجعة متن البخارى المطبوع وكتب الشروح لـــه .

وفى بعض أبوابه توجد الأحـاديث الـكثيرة ، وفى بعضها ما فيه حديث واحد ، وفى بعضها ما فيه آية من كتاب الله ، وبعضها لا شىء فيه ، وكأن لم يجد فى هـذا الباب الذى ترجم له حديثا على شروطه التى أسلفناها، فتركه هكذا عسى أن يتيسر له حديث فيما بعد .

تكراره لبعض الأحـــاديث ، أو تجزئته لهـــا ، أو اختصـــارها :

لقد جرى الامام البخارى فى صحيحه على تـكراره لبعض الأحاديث ، أو تجزئته لها ، أو اختصـارها فى الأبواب المختلفة ، وذلك بحسب ما يستخرج منها من الأحكام ، وبحسب ما يقتضيه المقام ، والبخارى لا يفعل ذلك غالبا إلا لفوائد تعود إما الى سند الحديث أو متنه، وقلما يورد حديثا واحدا بإسناد واحد ولفظ واحـد فى موضعين إلا نادرا جدا .

ومن الفوائد التى يقصدها بعمله هذا تكثير طـرق الحديث أو التنبيه على اختلاف بعض الألفـاظ أو أن

يكون بعض الرواة قد روى بالعنعنة (١) وقد ثبت عنده فى رواية أخرى التصريح بالسماع بدل لفظ « عن » فيورده لذلك ، الى غير ذلك من الاعتبارات الدقيقة التى تظهر جلية لمن يدرس الكتاب دراسة واعية دقيقة .

الأحاديث المعلقة فى صحيح البخارى :

المراد بالتعليق ـ فى اصطلاح المحدثين ـ ، أن يحذف من مبتدأ إسناد الحديث واحد أو أكثر وذلك مثل قول البخارى مثلا : قال مالك عن نافع عن ابن عمر كذا ، أو قال مجاهد عن ابن عباس عن النبى ﷺ كذا ، أو قال الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ كذا ، فكل ذلك معلق ، لأن بين البخارى وبين مالك ، ومجاهد ، والزهرى بعض رواة غير مذكورين وتعليقات البخارى منها ما هو مرفوع ، ومنها ما هو موقوف ومنها ما هو بصيغة الجزم : كقال ، وروى ، وذكر مثلا ، ومنها ما هو بصيغة التضعيف : كقيل وروى ويذكر .

---

(١) العنعنة هى الرواية بلفظ « عن فلان » والعنعنة تفيد الاتصال عند البخارى بشرطين : « أ » معاصرة الراوى لمن روى عنه . «ب» أن يثبت لقيهما ، وأما مسلم فيكتفى فى العنعنة بالمعاصرة فقط ولا يشترط اللقى وشرط البخارى أحوط وأدق .

وتعليقات البخارى منها ما هو صحيح ومنها ما ليس بصحيح ، ومنها ما هو على شرطه فى الصحة ، ومنها ما ليس كذلك ولا يقال كيف يورد البخارى فى كتابه ما ليس بصحيح ، لأن الأحاديث المعلقة ليست من أصل الكتاب وموضوعه (١) وإنما هى تذكر للاستشهاد على معنى أو قول أو للترجيح أو لغير ذلك من الأغراض وبحسب القارىء هذا ولا داعى للدخول فى تفصيلات علمية دقيقة .

ثلاثيات البخارى :

وللبخارى فى صحيحه أحاديث (٢) علا فيها حتى صار بينه وبين النبى ﷺ ثلاثة رواة ، وهى المعروفة بالثلاثيات ، وعدتها اثنان وعشرون حديثا وقد أفردها بعض العلماء بالتأليف كالعلامة الشيخ على القارى الحنفى .

ومن أمثلة هذه الثلاثيات ما ذكره فى (كتاب العلم - باب إثم من كذب على النبى ﷺ) ، وقال البخارى:

---

(١) لأن موضوع «صحيح البخارى» والغرض الذى الف لأجله هو ذكر الأحاديث المسندة المتصلة المرفوعة الصحيحة وما عدا ذلك امور تذكر بالتبع ، فيتسامح فيها ما لا يتسامح فى الأصل .

(٢) اذا قلت سلسلة الرواة بين الامام الراوى ونهاية السند سمى الاسناد عاليا وان كثرت سمى نازلا .

حدثنا مكى بن ابراهيم قال : حدثنا يزيد بن أبى عبيد عن سلمة ـ يعنى ابن الأكوع ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يقل على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار » •

الأحاديث المنتقدة على البخارى :

وقد انتقد بعض الحفاظ كالدار قطنى على البخارى أحاديث ذكرها فى صحيحه وليست على المستوى والدرجة العالية التى التزمها فى صحيحه •

وليس معنى هذا أن هذه الأحاديث ضعيفة ضعفا يصل بها الى حد أنها موضوعة أو منكرة فما قال هذا أحد قط من أئمة النقد الموثوق بهم والذين يرجع اليهم فى التعديل والتجريح ، ونقد الرجال ، والبصر بالمتون على توالى العصور والأجيال ، وكل ما هنالك أنها ليست فى مستوى معظم أحاديث الكتاب •

وعدة الأحاديث المسندة التى انتقدت على البخارى مائة وعشرة أحاديث •

منها ما وافقه الامام مسلم على تخريجه فى صحيحه وهو اثنان وثلاثون حديثا •

ومنها ما انفرد به البخارى ، وهو ثمانية وسبعون حديثا .

وقد أجاب الحافظ الكبير ابن حجر فى مقدمة شرحه الجليل المسماة « هدى السارى » عن هذه الأحاديث بجواب إجمالى ، ثم بجواب تفصيلى ، فقد عرض لها حديثا حديثا ، ذاكراً نقد الناقد ، ثم يعقب النقد بالرد (١) ، وهو يعطينا صورة شريفة من صور النقد العفيف ، والرد النزيه الصحيح .

ثم قال هذا العالم المحقق الكبير بعد المطاف الطويل:

« هذا جميع ما تعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الأسانيد ، المطلعون على خفايا الطرق وليست كلها من أفراد البخارى ، بل شاركه مسلم فى كثير منها » .

وعدة ذلك اثنان وثلاثون حديثا فأفراده منها ثمانية وسبعون فقط ، وليست كلها قادحة بل أكثرها الجواب عنها ظاهر ، والقدح فيها مندفع ، وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه فى الجواب عنه تعسف ، كما شرحته مجملا فى أول الفصل ، ووضحته مبينا إثر كل

---

(١) مقدمة فتح البارى ج ٢ من ص ٨٣ — ١١٠ .

حديث منها ، فإذا تأمل المنصف ما حررته من ذلك عظم هذا المصنف - يريد البخارى - فى نفسه ، وجل تصنيفه فى عينه ، وعذر الأئمة من أهل العلم فى تلقيه بالقبول والتسليم ، وتقديمهم له على كـــل مصنف فى الحديث والقديم ، وليسا سواء : من يدفع بالصـــدر فلا يأمن دعوى العصبية ، ومن يدفع بيد الإنصاف على القواعد المرضية ، والضوابط المرعية فللـــه الحمد الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والله المستعان ، وعليه التـــكلان (١) .

وهو كلام امام ناقد منصف ، لا يختلف اثنان فى أنه جمع بين الحفظ والبصر بالنقد ، وبين الفقـــه والحذق للأصوليين : أصول الدين وأصول الفقه .

ولعل من هـــذه الأحاديث التى وقع فيها التكلف فى الجواب والحق فيها مع الناقد حديث شريك بن أبى نمر عن أنس فى الإسراء وهو حديث طويل ، فقد خالف فيه شريك أصحاب أنس - يعنى الراوين عنه - فى إسناده ومتنه بالتقديم والتأخـــير ، وزياداته المنـــكرة وأشـــد أوهامه قوله - شريك - :« إن الإسراء كان قبل أن يوحى

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠

إليه » وقد أنكرها الخطابى وابن حزم ، وعبد الحق ، والقاضى عياض ، والنووى وغيرهم ، واعتبروا ذلك غلطا من شريك، وشريك ليس بمتهم بالكذب، وقصارى أمره أنه غلط والتبس عليه الأمر .

ومما ينبغى أن يعلم أن البخارى رحمه الله أخرج الروايات الصحيحة فى الإسراء والمعراج بجانب رواية شريك ، وهو بصنيعه هذا ينبهنا من طرف خفى لا يخفى على اللبيب ما فى رواية شريك من الأغلاط فلله در البخارى فكم من إشارات وتلميحات . وإذا علمنا أن أحايث الجامع الصحيح على كثرتها ، لم يشكل منها إلا بضعة أحاديث ، ازددنا يقينا بجلالة هذا الكتاب الصحيح .

ومهمها يكن من شىء فهذه الهنات القليلة لا تغض من جلالة صحيح البخارى ، فهو ـ بحق ـ عدا اليسير جدا ـ فى الدرجة العليا من الصحة ومن أراد زيادة يقين فليرجع الى مقدمة فتح البارى ، ويقرأ النقد والرد عليه .

ولا تلتفت ـ يا أخى القارىء ـ الى إرجاف المرجفين ، وزعم الجاهلين أن فى صحيح البخارى

أحاديث موضوعة مكذوبة ، ولا يزعم هذا إلا غر ضيق الأفق فى العلـم بالسنة ورجالها ، والعلم بشروطهم فى الرواية ، وهذا أمر انتهى إليه العلمـاء المحققون بعد طول البحث والتمحيص ، وبعد الأناة والتريث .

ونحن لا ندعى العصمة للبخارى ولا لغيره ، ولكن الله الذى تـكفل بحفظ كتابه قيض للسنة من حفظها ، وميز صحيحها من سقيمها ، حتى تم ما وعد الله به من حفظ القرآن الـكريم .

● ● ●

عدد أحـاديث الجـامع الصحـيح

ذكر العلامة ابن الصلاح فى مقدمته أن عدد أحاديث صحيح البخارى سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا بالمكرر ، وبغير المكرر أربعة آلاف حديث ، وتبعه العلامة الشيخ محيى الدين النووى فى كتابه « التقريب » .

وقد تكفل بعد صحيح البخارى عدا دقيقا الحافظ ابن حجر ، وقد ساعده على تحرير العدد أنه شرح صحيح البخارى ، وفى آخر كل كتاب يذكر عدد الأحاديث الموصولة المرفوعة ، والمعلقة ، والمتابعات وأقوال الصحابة والتابعين ، فمن ثم كان عده أدق وأشد تحريرا من عد غيره .

والذى ذكره الحافظ ابن حجر فى مقدمة الفتح :

أن جميع ما فى صحيح البخارى من الأحاديث الموصولة بلا تكرير (٢٦٠٢) حديثا .

ومن المتون المعلقة المرفوعة التى لم يوصلها فى موضع آخر من الصحيح (١٥٩) حديثا .

وأن جميع أحاديثه بالمكرر (٧٣٩٧) حديثا ٠

وأن جملة ما فى الكتاب من التعاليق (١٣٤١) حديثا٠

وجملة ما فيه من المتابعات (٣٤٤) حديثا ٠

فجميع ما فى الكتاب على هذا بالمكرر (٩٠٨٢) حديثا

وهذه العدة عدا ما فى الكتاب من الموقوفات على الصحابة والمرويات عن التابعين فمن بعدهم ٠

قال الحافظ ابن حجر : « وهذا الذى حررته من عدة ما فى صحيح البخارى تحرير بالغ فتح الله به لا أعلم من تقدمنى اليه وأنا مقر بعدم العصمة من السهو والخطأ ، والله المستعان » ٠

شروح الجامع الصحيح للبخارى :

لم يحظ كتاب من كتب الحديث بعناية الأمة الاسلامية مثل ما حظى بذلك « الجامع الصحيح » للامام البخارى ، فقد اعتنى علماء الأمة به شرحا له ، واستنباطا للأحكام منه ، وتكلما على رجاله وتعاليقه، وشرحا لغريبه ، وبيانا لمشكلات إعرابه الى غير ذلك ٠

وقد تكاثرت شروحه حتى قال صاحب « كشف الظنون » : إنها تنيف على اثنين وثمانين شرحا ، وذلك عدا ألف بعد عصر صاحب الكشف ، واليك أشهر شروحه :

١ ـ شرح العلامة شمس الدين محمد بن يوسف بن على الكرمانى المتوفى سنة (٧٨٦ هـ) سماه : « الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى » .

شرح فيه الألفاظ من الناحية اللغوية ، ووجه الأعاريب النحوية الخفية ، وضبط الروايات وأسماء الرجال ، وألقاب الرواة ، والتمييز بينهم ، ووفق بين الأحاديث التى ظاهرها التعارض ، وفرغ منه بمكة المكرمة سنة (٧٧٥) هـ ، قال الحافظ ابن حجر فى « الدرر الكامنة » : وهو شرح مفيد على أوهام فيه فى النقل ، لأنه لم يأخذه إلا من الصحف .

٢ ـ شرح الامام الحافظ أبى الفضل أحمد بن على ابن محمد بن محمد بن حجر العسقلانى ثم المصرى ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة سمى شرحه « فتح البارى بشرح صحيح البخارى » وهو أحسن الشروح وأوفاها .

وقد تعرض فيه لذكر اللغة والاعراب ، والفوائد الحديثية التى لا تجدها فى غيره ، والنكت البلاغية والأدبية ، والاستنباطات الفقهية ، وتحرير المسائل المختلف فيها بين علماء الأمة فى الفقه والكلام تحريرا دقيقا بالغا من غير تحيز ولا تحيف ، وقد امتاز بجمع طرق الأحاديث ، واستقراء الوارد منها فى الباب، وبيان منزلتها من الصحة أو الضعف مما يدل على سعة حفظه وتبحره فى الإحاطة بكتب الحديث .

ولفتح البارى مقدمة تسمى « هدى السارى » لو كتبت بماء الذهب لكان قليلا عليها ، وهى تعتبر بمثابة مفتاح لصحيح البخارى وقد فرغ من تأليفها سنة (٨١٣) هـ .

ثم ابتدأ فى الشرح ، فكتب منه قطعة أطال فيها النفس ، ثم خشى أن يعوقه عن إتمامه على هذه الصفة عائق ، فشرع فى شرح متوسط وهو « فتح البارى » .

وقد ابتدأ فى شرحه هذا سنة (٨١٧) هـ وأكمله سنة (٨٤٢) هـ ، فمكث فى تأليفه ربع قرن ، فلا عجب أن جاء هذا الشرح غاية فى التحرير والتجويد والاتقان ولقد كان الحافظ راضيا عن كتابه هذا كل الرضا .

ولما انتهى الحافظ من شرحه أولم وليمة ، دعا اليها وجوه المسلمين وقد بلغ ما أنفقه فيها خمسمائة دينار، وهى نحو (٢٥٠) جنيها مصريا ، ولا يزال الكتاب محل الحظوة من جميع العلماء قديما وحديثا وإنه لمعتمد كل من يكتب فى الديث .

ولما طلب من العلامة الشيخ محمد بن على الصنعانى الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ صاحب « نيل الأوطار » أن يشرح صحيح البخارى التزم جادة الإنصاف ، واعترف للحافظ ابن حجر بالإمامة والسبق فقال الحديث المشهور : « لا هجرة بعد الفتح » يقصد التورية .

واذا كان العلامة ابن خلدون نقل فى مقدمته الشهيرة عن شيوخه أنهم قالوا : إن شرح البخارى دين فى عنق هذه الأمة ـ فذلك إنما قالوه قطعا قبل أن يؤلف الحافظ شرحه (١) وقد وفى الحافظ ابن حجر هذا الدين بشرحه الجليل .

والشرح يقع فى ثلاثة عشر مجلدا كبيرا ومقدمته فى

---

(١) توفى ابن خلدون عام ٨٠٨هـ وشرع الحافظ فى تأليف شرحه عام ٨١٧ هـ .

مجلد كبير وقد طبع مرارا فى الهند ومصر وأجود طبعاته طبعة بولاق القديمة .

٣ - شرح العلامة الشيخ بدر الدين محمود بن أحمد العينى الحنفى المولود سنة ٧٦٢ هـ والمتوفى سنة ٨٥٥ هـ وقد سمى شرحه « عمدة القارى » .

وهو شرح وسيط عرض فيه لتراجم الرواة ، وتباين الأنساب وبيان اللغات ، والإعراب ، والمعانى، والبيان، هذا الى ما فيه من الاستنباطات الفقهية ، والآداب التى تؤخذ من الأحاديث ، وقد سلك فيه طريقة السؤال والجواب وهى طريقة حسنة مفيدة ، ومن حسناته أنه لا يحيل فى شرح الأحاديث المكررة على مواضع أخرى، ويذكر سياق الحديث بطوله عند الشرح ، كما يذكر من خرج الحديث من أصحاب الكتب المشهورة وقد بدأ فى تأليف شرحه سنة ٨٢١ هـ وفرغ منه عام ٨٤٧ هـ فيكون قد مكث فى تأليفه ربع قرن تقريبا ، وهو مطبوع بمصر وباستامبول .

٤ - شرح العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب المصرى الشافعى المشهور بالقسطلانى المتوفى سنة ٩٢٢ هـ .

وهو شرح أوجز من سابقيه ، وكثيراً ما يعتمد فيه على كلام من سبقه ولاسيما صاحب الفتح وقد سماه « إرشاد السارى الى صحيح البخارى » ولم يتحاش من الإعادة عند الحاجة الى البيان ، ولا فى ضبط الواضح عند علماء هذا الشأن قصداً لنفع الخاصة والعامة ، وقد كتب له مقدمة فى منزلة الحديث النبوى من الدين ، وعناية الأمة به حفظا وجمعا وتدوينا ، وقد طبع مرارا ٠

مختصرات الجامع الصحيح :

للجامع الصحيح مختصرات عدة منها :

١ ـ مختصر العارف بالله الصوفى القدوة الشيخ أبو محمد عبد الله بن سعد بن أبى جمرة الأندلسى المتوفى سنة ٦٩٥ هـ وهو نحو ثلثمائة حديث ، وقد شرح مختصره هذا وسماه « بهجة النفوس وغايتها بمعرفة ما لها وما عليها » وقد سلك فيه مسلك العناية بالمعانى دون الألفاظ ، وبالأخلاق والمواعظ أكثر من الأحكام وفيه من التحقيقات ، والتأويلات البارعة ، والفوائد البديعة ما لا تعثر عليه فى غيره ، وقد ينقل منه الحافظ

ابن حجر فى شرحه المشهور السابق ، وقد طبع المختصر والشرح .

٢ - مختصر الشيخ الامام زين الدين أبى العباس أحمد بن عبد اللطيف الشرجى الزبيدى المتوفى سنة ٨٩٣ هـ حذف منه ما تكرر ، وجمع فيه ما تفرق فى الأبواب وحذف الأسانيد مقتصرا على الصحابى ، وقد فرغ منه فى شعبان سنة ٨٨٩ هـ .

وقد شرح هذا المختصر شيخ الاسلام الشيخ عبد الله الشرقاوى الأزهرى وقد اعتمد فى شرحه على كلام من تقدموه ولاسيما صاحب « فتح البارى » .

وشرحه أيضا حسن صديق خان ملك بهوبال فى الهند وكلا الشرحين مطبوع .

●●●

الإمام مسلم بن الحجـاج

٢٠٦ ـ ٢٦١ هـ

نســـبه :

هو الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسـلم ابن ورد بن كوشاذ القشيرى (١) نسبا ، النيسابورى بلدا صاحب الصحيح ،والمؤلفات القيمة فى علم الحديث وأحد الأئمة الأعلام الذين خلد ذكرهم الزمان ، وقـد ولد سنة ست ومائتين على ما هو الصحيح ،كما يـدل على ذلك ما ذكره الحاكم أبو عبد الله فى كتابه « علماء الأمصار » .

حياته وارتحاله فى سبيل العـلم :

وقد كانت حياته حافلة بجلائل الأعمال والارتحـال فى سبيل الـحديث والرواية فارتحـل الى الحجـاز ، والعراق ، والشام ، ومصر ، وغيرها من الأقطار .

---

(١) قشير بصيغة المصغر قبيلة من قبائل العرب ونيسابور بـلد بخراسان .

وقد ابتدأ سماعه للحديث فى سن مبكرة ، وكان أول سماعه سنة ثمانى عشرة ومائتين ·

وقد لقى فى رحلاته كثيرين من أئمة العلم وأخذ عنهم فسمع بخراسان يحيى بن يحيى ، واسحاق بن راهويه ، وبالرى محمد بن مهران ، وأبا عنسان ، وبالعراق أحمد ابن حنبل ، وعبد الله بن مسلمة ، وبالحجاز سعيد بن منصور وأبا مصعب ، وبمصر عمرو بن سواد ، وحرملة ابن يحيى كما سمع آخرين غير هؤلاء ·

وقد قدم بغداد أكثر من مرة واستفاد من علمائها وكان آخر قدومه اليها سنة تسع وخمسين ومائتين ، ولما قدم الامام البخارى نيسابور أكثر من التردد عليه واستفاد منه ، وكان يعرف له فضله وعلمه ، ولما وقعت الفتنة بين البخارى والذهلى انحاز الى البخارى حتى كان هذا سببا للقطيعة بينه وبين الذهلى ، ولم يخرج له فى صحيحه ولا غيره شيئا مع أنه من شيوخه ، وكذلك صنع مع البخارى فلم يرو عنه فى صحيحه مع أنه من شيوخه أيضا ، وكأنه رأى لما بينهما من خلاف أن لا يخرج لواحد منهما فى صحيحه مع اعترافه بمشيختهما ·

وفــــاته :

وبعد هذه الحياة المباركة توفى عشية يوم الأحـــد ودفن « بنصر آباد » ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين عن خمس وخمسين عاما أكثر فيها من التأليف والإنتاج الخصب المفيـد ٠

شـــيوخه :

وللإمام مسلم شيوخ كثيرون جدا منهم عدا من ذكرنا فى الحديث عن رحلته :

عثمان وأبو بكر ابنا أبى شيبة ، وشيبان بن فروخ ، وأبو كامل الجورى ، وزهير بن حرب ، وعمرو الناقد ، ومحمد بن المثنى ، ومحمد بن يسار ، وهارون بن سعيد الأيلى وقتيبة بن سعيد وغيرهم ٠

الراوون عنــــه :

وروى عنه أئمة أجلاء ـ ومنهم من هو من أقرانه ـ من أعيانهم أبو حاتم الرازى ، وموسى بن هارون ، وأحمد بن سلمة ، وأبو بكر بن خزيمة ، ويحيى بـــن

صاعد ، وأبو عوانة الإسفراييني ، وأبو عيسى الترمذى وقد روى عنه حديثا واحدا وهو حديث محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أحصوا هلال شعبان لرمضان » (١) ، وأبو عمرو أحمد بن المبارك المستملى ، وأبو العباس محمد بن إسحاق بن السراج ، ومن أخص تلامذته ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الزاهد ـ وهو راوية (٢) صحيح مسلم ـ وغيرهم كثيرون .

حفظه وثناء الأئمة عليه :

لئن كان البخارى هو المجلى فى مضمار الحديث الصحيح ، والعلم بالعلل ، وسعة الحفظ ، وأصالة النقد ، فقد كان مسلم هو المصلى (٣) وتليه فى العلم والمعرفة ، والفضل والمنزلة ، ولا عجب فقد كان تلميذه وخريجه .

قال الخطيب البغدادى : « إنما قفا مسلم طريق البخارى ونظر فى علمه وحذا حذوه » .

(١) البداية والنهاية جـ ١١ ص ٣٣

(٢) التاء للمبالغة اى الذى بلغ فى روايته والعناية به وان كان رواه كثيرون غيره .

(٣) يقال للفرس السابق فى حلبة السباق المجلى ولمن يجىء بعده المصلى .

وليس معنى هذا أنه كان تابعا فقط ، فقد كان للامام مسلم شخصيته المستقلة فى التأليف ، وابتكاره أشياء لم يسبق إليها ، ومنهجه الخاص به كما ستعلم فيما بعد •

وقد حظى الامام مسلم بثناء الأئمة عليه من أهل الحديث وغيرهم • روى الخطيب البغدادى بسنده عن أحمد بن سلمة قال : رأيت أبا زرعة ، وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج فى معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما •

وقال اسحاق بن منصور الكوسج لمسلم : « لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين » •

وقال اسحاق بن راهويه وقد ذكر مسلما : أى رجل يكون هذا ؟

وقال ابن أبى حاتم : كان من الحفاظ كتبت عنه بالرى •

وقال أبو قريش الحافظ : حفاظ الدنيا أربعة فذكر منهم مسلما (١) ومراده الممتازون فى عصره وإلا فالحفاظ كثيرون •

---

(١) تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٥٠

مؤلفـــات مسلم :

لمسلم مؤلفات كثيرة منهـــا :

١ ـ الجامع الصحيح ·

٢ ـ المسند الـكبير على الرجال ·

٣ ـ كـتاب الأسماء والـكنى ·

٤ ـ « العلل ·

٥ ـ « الأقران ·

٦ ـ « سؤلاته أحمد بن حنبل ·

٧ ـ « الانتفاع بأهب (١) السباع ·

٨ ـ « المخضرين ·

٩ ـ « من ليس له إلا راو واحد ·

١٠ ـ « أولاد الصحابة ·

١١ ـ « أوهام المحدثين ·

وأجل هذه الكتب وأعمها نفعا ، وأبقاها على الزمان (الجامع الصحيح) ·

---

(١) بضم الهمزة والهاء جمع اهاب وهو الجلد ·

صحيح الإمام مسلم

وهو أحد الكتابين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل ، واللذين تلقتهما الأمة الإسلامية بالقبول .
وقد بالغ الامام مسلم فى البحث والتحري عن الرجال والتمحيص للمرويات ، والموازنة بينها ، والتدقيق فى تحرير الألفاظ ، والإشارة الى الفروق بينها حتى جاء صحيحه على الهيئة الكاملة ، التى ينشدها أهل البحث والمعرفة .

وليس أدل على هذا من أنه انتقى كتابه من ألوف الروايات المسموعة ، روى عنه أنه قال : « صنفت هذا الصحيح من ثلثمائة ألف حديث » .

والكتاب ثمرة حياة مباركة استغلها صاحبها فى السفر والارتحال والكد والجد ، والجمع والحفظ ، والكتابة والتنقيح ، حتى كان كما ترى صحة وتهذيبا وتنسيقا ، وقد مكث هو وبعض تلاميذه يكتبون ويحررون حتى تم تأليفه فى خمس عشرة سنة .

روى عن أحمد بن سلمة أنه قال : « كتبت مع مسلم فى تأليف صحيحه خمس عشرة سنة وهو اثنا عشر ألف حديث » .

فلا تعجب اذا كان مسلم يشيد بذكر صحيحه فيقول ـ تحدثا بنعمة ربه عليه ـ : « لو أن أهل الأرض يكتبون الحديث مائتى سنة ما كان مدارهم إلا على هذا المسند » .

ويدل على شدة تحريه ، واستيثاقه من المرويات قوله : « ما وضعت شيئا فى كتابى هذا إلا بحجة ، وما أسقطت منه شيئا إلا بحجة » .

سماحة الإمام فى البحث :

ولم يكن مسلم متعصبا لرأيه بل كان يتسم بسمة العلماء الحقيقيين الذين يبتغون الحق ، ولا عليهم لو ظهر على لسان أى شخص كان ، ولا يرون غضاضة فى الرجوع الى الحق اذا ظهر ، بل يعتبرونه فضيلة .

وبعد انتهائه من تدوين صحيحه عرضه على أئمة هذا العلم النبوى الشريف . روى الخطيب بإسناده عن مكى بن عبدان أحد حفاظ نيسابور قال : سمعت مسلما

يقول : عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى (١)٠

فكل ما أشار أنه له علة تركته ، وكل ما قال : إنه صحيح وليس له علة خرجته ، وهذا غاية التواضع ، وعدم الاغترار بالنفس ، والإعجاب بالرأى وهو أدب عال من آداب البحث فى الاسلام ٠

منهج مسلم فى صحيحه :

لم ينص الامام مسلم على أن شرطه فى صحيحه (٢) هو كذا ، وإنما استخرج العلماء ذلك من النظر فى كتابه ، والذى استخلصوه أن شرطه فى صحيحه أنه لا يخرج الأحاديث إلا عن العدول الضابطين ، الموثوق بصدقهم وأمانتهم ، وحفظهم ويقظتهم وعدم غفلتهم، كما يخرج عمن دون ذلك من الرواة وأنه لا يخرج فى كتابه بالأصالة إلا الأحاديث المسندة المتصلة المرفوعة الى النبى ﷺ ٠

---

(١) هو حافظ عصره عبيد الله بن عبد الكريم ، كان من أفراد الدهر حفظا وذكاء ودينا ، واخلاصا وعلما وعملا ، وكانت وفاته سنة أربع وستين ومائتين ٠

(٢) وذلك فيما عدا العنعنة فقد ذكر فى مقدمة صحيحه اكتفاءه فى افادتها الاتصال بالمعاصرة ولم يشترط اللقى وانحى باللائمة على من اشترطه أيضا ٠

ومعنى هذا أنه لم يلزم نفسه بما التزم به البخاري من مراعاة مستوى خاص في الرواية والرواة ، بل توسع في شرطه فروى عن رواة لم يرو لهم البخاري في صحيحه ولعلك على ذكر من المثال الذي ذكرناه أثناء الكلام على شرط البخاري في صحيحه ، وهو أن تلامذة الامام ابن شهاب الزهري على خمس طبقات : الأولى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، ثم الخامسة ولكل طبقة مزية على التي تليها في الحفظ والاتقان وطول الملازمة والصحة .

وقد ذكرنا هناك أن البخاري يخرج أحاديث الطبقة الأولى ، ويخرج من أحاديث الطبقة الثانية قليلا وفي غير أصول الكتاب .

أما مسلم فيخرج أحاديث رجال الطبقة الأولى والثانية استيعابا ، ويخرج من أحاديث الطبقة الثالثة قليلا ، وذلك في المتابعات والشواهد لا في أصل الكتاب، ولعل فيما ذكره مسلم في مقدمة صحيحه ما يلقي لنا ضوءا نتعرف به شرطه في صحيحه ذلك أنه قسم الأحاديث ثلاثة أقسام :

الأول : ما رواه الحفاظ المتقنون .

الثانى : ما رواه المستورون المتوسطون فى الحفظ والإتقان .

الثالث: ما رواه الضعفاء والمتروكون وقد ذكر أنه إذا فرغ من القسم الأول أتبعه الثانى وأما الثالث يعرج عليه (١) وهو يؤيد ما ذكرناه .

خصائص صحيح مسلم :

وقد امتاز صحيح مسلم بأن مؤلفه سلك فيه طريقة حسنة ، ذلك أنه يجمع المتون كلها بطرقها فى موضع واحد ، ولا يفرقها فى الأبواب ، ولا يكررها إلا فى القليل النادر ، إلا اذا كانت هناك ضرورة لهذا التكرار كفائدة زائدة فى سند الحديث أو متنه .

وقد سهل له هذا المنهج أنه لم يقصد أن يضم الى جمع الأحاديث بيان فقهها واستنباط الأحكام والآداب منها .

أما البخارى فقد قصد الى ذلك فمن ثم اضطر الى طريقته التى سلكها فى صحيحه .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٤٨

ومن هذه الخصائص: التدقيق فى الألفاظ، والمحافظة على اللفظ ما وسعه الأمر حتى اذا خالف راو راويا آخر فى لفظه والمعنى واحد فرواها بعضهم بلفظ والآخر بلفظ آخر بينه ، وكذا إذا قال راو (حدثنا) وقال آخر (أخبرنا) (١) بين الخلاف فى ذلك ، وكذلك اذا روى الحديث جماعة وكانت هناك مغايرة فى بعض الألفاظ فانه يبين أن اللفظ المذكور من رواية فلان ، ولذا تجده يقول فى هذا النوع من الحديث : (واللفظ لفلان) ، وهذا غاية الدقة والأمانة فى النقل اللتين امتاز بهما مثل الامام مسلم .

وأيضا فقد حرص مسلم أن لا يذكر فى كتابه إلا الأحاديث المسندة المرفوعة - أى المنسوبة الى النبى - ﷺ - فلذلك لم يذكر أقوال الصحابة ولا التابعين وليس فيه بعد المقدمة إلا الأحاديث المرفوعة .

وكذلك لم يكثر مسلم فى كتابه من الأحاديث المعلقة (٢) . فليس فيه إلا اثنا عشر حديثا وهى فى المتابعات لا فى أصول الكتاب ومقاصده ، هذا وهناك

---

(١) الذى عليه جمهور المحدثين - ومنهم مسلم - التفرقة بين حدثنا ، واخبرنا ، فالأول بما سمعه الراوى من لفظ شيخه ، والثانى لما قرأه التلميذ على شيخه .

(٢) هى ما حذف من مبتدأ اسنادها واحد أو أكثر .

- غير ما ذكرنا - خصائص تظهر لمن يدرس الكتاب حق الدرس .

مقدمة صحيح مسلم :

ولصحيح مسلم مقدمة ، قيمة عرض فيها لتقسيم الأخبار وما يخرجه فى صحيحه منها ، وأحوال الرواة، والكشف عن معايبهم ، وبيان حرمة الكذب على رسول الله ﷺ ، والحث على التثبت فى الرواية ، والنهى عن الرواية عن الضعفاء والمتروكين ، وبيان أن الإسناد من الدين وأفاض فى بيان الاحتجاج بالحديث المعنعن ، وهى تعتبر من المؤلفات القيمة المبتكرة فى علم أصول الحديث .

تبويب الصحيح :

ومما ينبغى أن يعلم أن مسلما لم يضع لكتابه تراجم للأبواب بالفعل ، وإنما جمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد فى مكان واحد فجاء كتابه فى قوة المبوب .

ولعل مسلما فعل ذلك ليشحذ القارىء للكتاب ذهنه

ويعمل فكره فى البحث والاستنباط ، والكشف عن مقاصد الأحاديث ومدلولاتها .

وأما ما تراه من ذكر العناوين للكتب والأبواب فى بعض النسخ المطبوعة فليس من صنع المؤلف وإنما هو من صنع من جاء بعده من الشراح .

وأحسن من وضع له التراجم ، وبوب الأبواب الامام النووى فى شرحه فكن على بينة من ذلك .

عدد أحاديث صحيح مسلم :

قد سمعت آنفا قول أحمد بن سلمة وهو الذى نسخ لمسلم صحيحه إنه اثنا عشر ألف حديث ، وذكر ابن الصلاح عن أبى قريش الحافظ أن عدته أربعة آلاف حديث (٤٠٠٠) ويمكن الجمع بين الرأيين بأن الأول بالمكرر والثانى بغير المكرر .

وقد وهم بعض المؤلفين كالأستاذ أحمد أمين فى ضحى الاسلام (١) حيث ذكر أنه بالمكرر سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا وذلك لأن هذه العدة إنما ذكرها ابن الصلاح فى صحيح البخارى لا فى صحيح مسلم .

---

(١) ضحى الاسلام جـ ٢ ص ١٣١

الأحاديث المنتقدة على صحيح مسلم :

جملة الأحاديث المنتقدة على صحيح مسلم مائة واثنان وثلاثون حديثا ، منها ما شاركه الامام البخارى فيها وهى (٣٢) حديثا والباقى قد انفرد به مسلم وهى مائة حديث .

أما ما اشتركا فيه فقد أجاب عنه الحافظ ابن حجر فى مقدمته الشهيرة .

وأما ما انفرد به مسلم فقد أجاب عنه الامام النووى فى شرحه على صحيح مسلم ، وجل الانتقادات الجواب عنها سهل يسير ، ولكنها قليلة جدا ، ومن ذلك حديث أبى سفيان بن حرب - رضى الله عنه - فى تزويج بنته أم حبيبة للنبى ﷺ مع أن النبى ﷺ تزوجها قبل ذلك وهى مهاجرة بالحبشة ، ووكل النجاشى فى العقد عليها ، ولم يكن أبوها أسلم ، إذ هو من مسلمة الفتح ، فقد وهم - غلط - فى هذا بعض رواته قطعا .

وحديث أبى هريرة مرفوعا « خلق الله التربة يوم السبت ... » الحديث وفيه خلق السموات والأراضين وما بينهما فى سبعة أيام ، ورفعه غلط والصحيح وقفه

على أبى هريرة ويكون مما تلقاه عن كعب الأحبار من إسرائيليات أهل الكتاب كما نبه على ذلك جماعة من حفاظ الحديث ونقاده .

وحديث صلاة الكسوف(١) بثلاث ركوعات وأكثر ، فقد أعله بعض الحفاظ واعتبروه غلطا من راويه، ولكن مما يقلل الخطب فى هذا الأخير أن مسلما خرج الروايات الصحيحة المحفوظة الدالة على صلاة الكسوف وفى كل ركعة ركع ركوعين فحسب (٢) .

ومهما يكن من شىء فهى هنات قليلة جداً لا تكاد تذكر بجانب آلاف الأحاديث الصحيحة التى خرجها فى الصحيح ، ولم يرد عليها أى نقد .

ومن ثم يتبين لنا بعد البحث والتحقيق أن الكتاب على درجة عالية من الصحة ، وأنه من كتب السنة وأصولها المعتمدة ، وأن نقد الناقدين له إنما هو لأن مسلما قد نزل فى هذه الأحاديث عن درجة ما التزمه فى

---

(١) وقد أجاب بعض الفقهاء والمحدثين عن هذا بأن الكسوف كان يختلف طولا وقصرا فاذا قصر ركع ركوعين فى كل ركعة ، واذا طال ركع ثلاث ركوعات وأكثر ، وهو تأويل مقبول وقد أخذ بأحاديث الزيادة بعض الصحابة والفقهاء .

(٢) زاد المعاد فى هدى خير العباد جـ ١ ص ١٢٤ وما بعدها .

كتابه لا أن أحداً من أئمة النقد قال إن فيه أحاديث موضوعة على معنى أن رواتها كذابون ، أو ضعيفة على ضعف رواتها ، وعدم عدالتهم ، كما يزعم بعض المغرضين وأبواق المستشرقين والمبشرين ، أعداء السنة والأحاديث والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

هل استوعب الصحيحان كل الأحاديث الصحيحة ؟ :

لم يستوعب صاحبا الصحيحين الصحيح ، ولا أخذا على أنفسهما ذلك قط ، فقد روى عن البخارى أنه قال: « ما أدخلت فى كتاب الجامع الصحيح الا ما صح ، وتركت من الصحاح لملال الطول » وأنه قال : « أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتى ألف حديث غير صحيح » مع أن ما فى صحيحه لا يبلغ عشر المائة ألف الصحيحة التى يحفظها .

وقال مسلم فى صحيحه : « ليس كل شىء عندى صحيح وضعته هنا ـ يعنى فى صحيحه ـ إنما وضعت ما أجمعوا عليه » .

وهذا اعتراف صريح منهما بأنهما لم يذكرا فى كتابيهما كل الصحيح .

وأيضا فهناك أحاديث كثيرة موجودة فى كتب السنن الأربعة : سنن أبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ـ لم يذكراها فى كتابيهما ولا ذكرها أحدهما .

وكذلك يوجد فى مسند الامام أحمد من الأحاديث ما يوازى كثيرا من أحاديث مسلم بل والبخارى أيضا وليست فى كتابيهما ، ولا فى كتاب أحدهما وكذلك استدرك الحاكم أبو عبد الله على الصحيحين كتابا كبيرا مما فاتهما ، وهو وان لم يكن مصيبا فى كل ما استدركه الا أنه يخلص له منه صحيح كثير (١) ، وكذلك يوجد فى معجمى الطبرانى الكبير والأوسط ، ومسند أبى يعلى والبزار وغيرها ما يتمكن المتبحر فى هذا العلم من الحكم بصحة كثير منه ، ومن ثم يتبين لنا أن ما قاله بعض العلماء الحفاظ : « قل ما يفوت البخارى ومسلما من الأحاديث الصحيحة خلاف الحق والواقع » .

وإذا كان الأمر على ماذكرنا فليس لأحد أن ينكر حديثا صحيحا أو لا يأخذ به بحجة أنه ليس فى الصحيحين .

---

(١) الباعث الحثيث ص ١٤ .

المــــوازنة بين الصــــحيحين

اتفق العلماء على أن كتب الحديث هما الصحيحان، ويكاد يجمع العلمــاء على أن صحيح البخــارى أصح الكتابين ، وأكثرهما فوائد .

قال الإمام النسائى : ما فى هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن اسماعيل البخارى ، والنسائى لا يعنى بالجودة إلا الصحة ومثل هذه الشهادة من مثل النسائى غــاية فى الإنصاف وهو من هو فى شدة تحريه وتوقيــه وعدم مجازفته فى القول وتثبته فى نقد الرجال وتقدمه فى ذلك على أهل عصره .

وقال الدراقطني : لولا البخارى لما ذهب مسلــم ولا جاء .

وذهب أبو على النيســابورى الى ترجيح صحيــح مسلم ، روى عنه أنه قال : « ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مســلم بن الحجاج » والى هــذا ذهب بعض المغــاربة ، ونسب الى أبى محــــمد بن حــزم الإمــام الظاهرى ، .

وفى الحق أن القائلين بتفضيل صحيح مسلم إن أرادوا الترجيح فيما يرجع الى حسن البيان ، والسياق ، وجودة الوضع ، والترتيب بجمع الطرق فى مكان واحد ، وعدم تجزئة الحديث فى أبواب، والاقتصار على المرفوع دون الموقوف والمعلق الى غير ذلك مما عرضنا له فى بيان خصائصه فلا ننازعهم فى هذا بل الحق معهم .

وإن أرادوا غير هذا ، وأن الترجيح يرجع الى نفس الصحة والشروط التى تتوقف عليها ، فكلامهم غير مسلم ومردود .

ومهما يكن من شىء فالكتابان هما أصح ما ألفه المحدثون ، وقد أدى مؤلفاهما الى الدين والى الأمة الإسلامية خدمة جليلة لا تنكر ، بل تذكر بالإكبار ، فتشكر ، نسأل الله سبحانه أن يجزل ثوابهما ، ما استفاد من الكتابين مستفيد .

شروح صحيح مسلم :

كما عنى العلماء بصحيح البخارى ، كذلك عنوا بصحيح مسلم تهذيبا واختصارا ، وشرحا وفقها ، وإن

كانت العناية بشرح مسلم لم تبلغ العناية بشرح البخارى ، وأشهر شروحه :

١ - « المعلم بفوائد كتاب مسلم » للإمام أبى عبد الله محمد بن على المازرى (١) المتوفى سنة ٥٣٦ هـ وهو مخطوط بدار الكتب المصرية وبه خرم - أى نقص من الأول .

٢ - « إكمال المعلم فى شرح صحيح مسلم » .

للإمام القاضى عياض بن موسى اليحصبى المالكى المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ، وهو مخطوط ، والموجود منه بدار الكتب المصرية ستة أجزاء فقط من نسخ متعددة .

٣ - شرح الإمام الحافظ أبى زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووى الشافعى صاحب المؤلفات النافعة القيمة ، ولد فى المحرم سنة احدى وثلاثين وستمائة ، وتوفى فى نوى فى رجب سنة ست وسبعين وستمائة هجرية سماه : « المنهاج فى شرح صحيح مسلم ابن الحجاج » .

---

(١) مازر كهاجر بليدة بجزيرة صقلية « وفيات الأعيان » .

اعتمد فيه على كلام من تقدمه كالمازرى وعياض ، وهو شرح وسط حينا وموجز حينا آخر ، عرض فيه مؤلفه لبيان العقائد والأحكام والأخلاق والآداب ، واللغات ، وضبط الأسماء ، والتوفيق بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث والآثار ، وذكر أدلة الأقوال والمذاهب .

وللشرح مقدمة جليلة فى علوم الحديث وأصول الرواية ، وتعتبر مفتاحا للصحيح ، وفى الشرح مواضع ـ ولا سيما فى أوله ـ أطال فيها النفس ، وقصد الى البسط والاستيعاب فأجاد فيها وأفاد ، وأقنع وأشبع ، وفيه مواضع طوى فيها الحديث ، وقد يكون فيه ألفاظ غريبة ، ومعان مشكلة ، واكتفى فى شرح الحديث بكلمات مجملة ، لا تروى النفوس المتعطشة للبحث والاستقصاء .

ومهما يكن من شىء فهو أجل الشروح المطبوعة ولا سيما مقدمته القيمة ، وتبويبه للصحيح هذا التبويب الفائق فى الحسن .

وقد طبع هذا الشرح غير مرة بالقاهرة والهند .

٤ ـ شرح الإمام أبى عبد الله محمد بن خليفة الوشنانى المالكي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ ، وهو فى عدة مجلدات سماه « إكمال المعلم » وقد ذكر فى مقدمة شرحه أنه ضمنه شروحه الأربعة : (المازرى ، وعياض ، والقرطبى ، والنووى) ، مع زيادات وتكميلات من عنده ، وقد أشار الى كلام أصحاب هذه الشروح بالحروف ، فأشار بالميم الى المازرى ، وبالعين الى عياض ، وبالطاء الى القرطبى وبالدال الى النووى ، واذا قال فى شرحه : قال الشيخ ، فمراده شيخه ابن عرفه .

ويغلب على الشرح ذكر التفريعات الفقهية ، ولا سيما عند المالكية ، وفيه من الفوائد ما لايعثر عليه الباحث فى غيره .

٥ ـ شرح الإمام أبى عبد الله محمد بن محمد ابن يوسف السنوسى الحسنى المتوفى سنة ٨٩٥ هـ. وهو مختصر لشرح الأبى السابق ، وقد اكتفى بالرموز عن أسماء العلماء الذين ينقل عنهم على نحو ما فعل سلفه إلا أنه رمز للنووى بحرف (الحاء) وللأبى بحرف الباء.

وفى الحق أنه لم يزد على الأبى إلا فى القليل النادر جدا

فهو نسخة مكررة منه وهذا الشرح والذى قبله مطبوعان فى كتاب واحد على نفقة سلطان المغرب الأقصى مولاى « عبد الحفيظ » رحمه الله وأثابه ـ سنة ١٣٢٨ هـ .

حاجة صحيح مسلم الى شرح مبسوط :

وعلى كثرة شروح صحيح مسلم المخطوط منها والمطبوع فلا يزال الكتاب فى حاجة الى شرح واف شاف ، ولو أن جماعة من العلماء المشتغلين بالسنة وخدمتها المعروفين بسعة الاطلاع والتعمق فى البحث ، ومعرفة المذاهب العلمية قديمها وحديثها ، قامت بشرح هذا الكتاب شرحا جامعا لكل ما يحتاج إليه الباحث والمستفيد من لغة ، وبلاغة ، وحكم ، وأحكام ، وبيان ما تشتمل عليه الأحاديث من توجيهات نبوية ، وآداب إسلامية ، وتحقيق الروايات ، والتوفيق بين ظاهرة التعارض منها ورد الشبه الواردة على بعض الأحاديث قديما وحديثا ردا علميا صحيحا ، وتقديم هذه البحوث فى أسلوب سهل مستساغ ، أقول : لو تم ذلك لكان خدمة تقدم للإسلام والمسلمين ، وأعظم شاهد على خصوبة العقلية الإسلامية ، وأنها لم تصب بالعقم والجمود .

وقد وضعت لما أسند إلى تدريس بعض موضوعات هـذا الصحيح فى كـلية أصول الدين إحـدى كـليات جامعة الأزهر المعمور ـ أولى اللبنات فى شرح هـذا الكتاب ، فشرحت بعض موضوعاته فى ثلاثة أجـزاء صغيرة ، وعسى أن يوفق الله سبحانه لإتمام شرح هـذا الـكتاب الجليل .

مختصرات صحيـح مسـلم :

ولصحيح مسلم مختصرات منها :

١ ـ مختصر الشيخ أبى عبد الله شرف الدين محمد ابن عبد الله المرسى ، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

٢ ـ مختصر الشيخ الامام أحمد بن عمر بن ابراهيم القرطبى المتـوفى سنة ٦٥٦ هـ ، ولـه شرح على هـذا المختصر ذكر فيه : أنه لما لخصه ، ورتبه وبوبه ، شرح غريبه ، ونبه على مسائل من الإعراب وعلى وجوه من الاستدلال بأحاديثه ، وسمى شرحه هذا « المفهـم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم » وكثيرا ما ينقل عنـه الامام النووى فى شرحه على مسلم ، والحافظ ابن حجر فى فتح البارى .

٣ - مختصر الامام الحافظ زكى الدين عبد العظيم ابن عبد القوى المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ وقد شرح هذا المختصر الشيخ عثمان بن عبد الملك المصرى المتوفى سنة ٧٣٨ هـ .

● ● ●

الإمـــام أبو داود

٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ

نسـبه ومولـــده :

هو الامام الثبت سيد الحفاظ سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدى السجستانى(١) صاحب السنن ، ولد سنة اثنتين ومائتين ·

نشأته وارتحـــاله :

نشأ أبو داود من صغره محبا للعلم والعلماء ولازمهم وشرب من معينهم عللا بعد نهل ·

ولم يكد يبلغ مبلغ الرجال حتى أخذ نفسه بالارتحال فطوف فى البلاد وسمع من خلق كثير بالحجاز ، والشام،

---

(١) قال ابن خلكان فى وفياته « جـ ١ ص ٣٨٢ » : « انه نسبة الى سجستان الاقليم المشهور ، وقيل بل نسبـــة الى سجستـــان ، أو سجستانة قرية من قرى البصرة » وقد تعقبه السبكى فى القول الثانى وعده من أوهامه فقال : هذا وهم ، والصواب انه نسبة الى الاقليم المعروف المتاخم لبلاد الهند بين السند وهراة ، أو بين خراســـان وكرمان ، ويقال فى النسبة اليها أيضـــا السجزى وهو من عجيب التغيير فى النسب ، والأزدى نسبة الى الأزد حى من اليمن ·

ومصر ، والعراق ، والجزيرة ، والثغر ، وخراسان ، وغيرها مما أعانه على الاطلاع على أكبر قسط من الأحاديث التى غربلها ، وأودع خلاصتها كتابه «السنن». وقد قدم بغداد غير مرة ، وحدث أهلها بكتاب السنن، بل يقال : إنه ألفه بها وعرضه على امام أهل السنة أحمد بن حنبل ، فاستجاده واستحسنه ، وقد اتخذ من البصرة موطنا ، وذلك لما عزم عليه أميرها على المقام بها ، لتصبح كعبة أهل العلم وطلاب الحديث .

شيوخه :

وله شيوخ كثيرون من أعيانهم أحمد بن حنبل ، والقعبى ، وأبو عمرو الضرير ، ومسلم بن ابراهيم، وعبد الله بن رجاء ، وأبو الوليد الطيالسى وغيرهم، وقد شارك البخارى ومسلما فى بعض شيوخهما كأحمد ابن حنبل وعثمان بن أبى شيبة ، وقتيبة بن سعيد .

من روى عنه :

وروى عنه الحديث وأخذ العلم كثيرون منهم أبو عيسى الترمذى ، وأبو عبد الرحمن النسائى، وابنه أبو بكر بن أبى داود ، وأبو عوانة ، وأبو سعيد

ابن الأعرابى وأبو على اللؤلؤى ، وأبو بكر بن داسة ، وأبو سالم محمد بن سعيد الجلودى وغيرهم .

وحسبه فضلا أن يروى عنه شيخه أحمد بن حنبل حديثا ويكتبه عنه [١] وهو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة عن أبى معشر الدارمى عن أبيه « أن رسول الله ﷺ سئل عن العتيرة فحسنها » [٢] .

أخلاقه وسمته [٣] :

كان أبو داود من العلماء العاملين بعلمهم ، وكان على درجة عالية من النسك والعفاف ، والصلاح ، والورع ، وكان مثالا يحتذى فى هديه وسمته ، ويفصح عن هذا أن بعض الأئمة قال : كان أبو داود يشبه بأحمد ابن حنبل فى هديه ، ودله [٤] ، وسمته ، وكان أحمد

---

(١) البداية والنهاية ج ١١ ص ٥٥

(٢) العتيرة شاة كانوا يذبحونها فى رجب فيأكلون منها ويطعمون من يجيئهم ، وقيل : كان الواحد منهم ينذر ان بلغ مالى كذا وكذا ذبحت منها رأسا ، فلما جاء الاسلام اقرها واستحبها لما فيها من البر وعمل الخير ، وأما حديث « لا فرع ولا عتيرة » ورواه البخارى فالمعنى لا عتيرة واجبة فلا ينافى استحبابها .

(٣) السمت : الهيئة والوقار .

(٤) فى القاموس : الدل كالهدى وهما من السكينة والوقار ، وحسن المنظر .

يشبه فى ذلك بوكيع وكان وكيع يشبه بسفيان الثورى وسفيان بمنصور ، ومنصور بابراهيم النخعى ، وابراهيم بعلقمة ، وعلقمة بابن مسعود وكان ابن مسعود يشبه بالنبى ﷺ فى هديه ، ودله ، وسمته وتلك - لعمر الحق - منقبة شريفة تدل على كمال دين ، وهدى ، وخلق .

وكان صاحب حكمة وفلسفة فى هيئة ثيابه فقد كان له كم واسع وكم ضيق فقيل له فى ذلك فقال : الواسع للكتب ، والآخر لا يحتاج اليه فتوسيعه إسراف .

ثناء العلماء عليه :

كان أبو داود علما من أعلام الاسلام حفظا وفقها وعلما بالأحاديث وعللها وقد حظى بتقدير العلماء له ولاسيما شيخه أحمد بن حنبل ، وقال فيه الحافظ موسى بن هارون : خلق أبو داود فى الدنيا للحديث، وفى الآخرة للجنة ، وما رأيت أفضل منه ، وجاءه سهل بن عبد الله التسترى العالم المتصوف فقيل له : هذا سهل قد جاءك زائرا ، فرحب به وأجلسه فقال له : يا أبا داود لى اليك حاجة قال : وما هى ؟ قال : حتى تقول قضيتها

مع الإمكان ، قال : قد قضيتها مع الإمكان ، قال : أخرج لسانك الذى حدثت به عن رسول الله ﷺ حتى أقبله ، فأخرج لسانه فقبله .

ولما صنف أبو داود كتاب السنن قال ابراهيم الحربى العالم الحافظ : ألين لأبى داود الحديث ، كما ألين لداود الحديد ، وهو تشبيه يدل على فضل الرجل فى صنعة الحديث وأنه يسر العسير ، وقرب البعيد ، وذلل الصعب .

ووصفه أبو بكر الخلال الحافظ الفقيه الحنبلى الكبير فقال : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى الامام المقدم فى زمانه ، رجل لم يسبقه الى معرفة تخرج العلوم ، وبصره بمواضعها أحد من أهل زمانه ، وكان أبو بكر الأصبهانى وأبو بكر بن صدقة يرفعان من قدره ، ويذكرانه بما لا يذكران أحدا فى زمانه بمثله .

مذهبه الفقهى :

قد عده الشيخ أبو اسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء من جملة أصحاب الامام أحمد ، وكذلك ذكره

فى طبقات الحنابلة (١) القاضى أبو الحسين محمد بن القاضى أبى يعلى المتوفى سنة ٥٢٦ هـ ولعل ذلك لأن الامام أحمد كان من خاصة شيوخه وقيل : إنه كان شافعيا .

والذى يترجح عندى أنه كان مجتهدا ، كما يدل على ذلك صنيعه وتصرفه فى سننه ولاسيما أن الاجتهاد كان صفة من صفات أئمة الحديث فى العصور الأولى .

اعتزازه بكرامة العلم والعلماء :

ومما يدل على هذا الاعتزاز ما ذكره الإمام الخطابى بسنده عن أبى بكر بن جابر خادم أبى داود قال : كنت مع أبى داود ببغداد فصلينا المغرب إذ قرع الباب ففتحته ، فإذا خادم يقول هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن ، فدخلت على أبى داود فأخبرته بمكانه ، فأذن له ، فدخل وقعد ، ثم أقبل عليه أبو داود وقال ما جاء بالأمير فى مثل هذا الوقت ؟ فقال : خلال ثلاث ، فقال: ما هى؟ قال : تنتقل الى البصرة فتتخذها وطنا ليرحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بك ، فإنها قد

(١) طبقات الحنابلة ص ١١٨

خربت وانقطع عنها الناس لما جرى من مجئ الزنج فقال : هذه واحدة . هات الثانية . قال : وتروى لأولادى كتاب السنن فقال : نعم . هات الثالثة . فقال: وتفرد لهم مجلسا للرواية فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة فقال أبو داود : أما هذه فلا سبيل إليها ، لأن الناس شريفهم ووضيعهم فى العلم سواء قال ابن جابر : فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون ، ويضرب بينهم وبين الناس ستر فيستمعون مع العامة .

وهكذا فليكن العلماء : لا يسعون الى الملوك والأمراء ، وإنما يسعى إليهم الملوك والأمراء ، وهكذا فلتكن المساواة فى العلم والمعرفة .

وفاته :

وبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم ، وجمع الأحاديث ونشرها توفى بالبصرة التى اتخذها موطنا ، لما عرض عليه أميرها سكناها على ما سمعت ، وكانت وفاته فى شوال سنة خمس وسبعين ومائتين فرضى الله عنه وأرضاه .

ابنه أبو بكر :

وقد ترك الإمام أبو داود ابنا يسمى « عبد الله » وقد صار حافظا كبيرا حتى قيل إنه أحفظ من أبيه ، وهو أبو بكر عبد الله بن أبى داود ، فهو إمام ابن إمام ولد أبو بكر سنة ثلاثين ومائتين وتوفى سنة عشرة وثلاثمائة .

مؤلفاته :

ولأبى داود مؤلفات كثيرة منها .

(١) كتاب السنن .
(٢) كتاب المراسيل .
(٣) كتاب القدر .
(٤) الناسخ والمنسوخ .
(٥) فضائل الأعمال .
(٦) كتاب الزهد .
(٧) دلائل النبوة .
(٨) ابتداء الوحى .
(٩) أخبار الخوارج ، وأجل هذه الكتب وأبقاها كتاب السنن وسنبسط الكلام عنه .

كتاب السنن لأبى داود

منهج أبى داود فى تأليف سننه :

كانت المؤلفات فى الحديث ـ الجوامع والمسانيد ونحوها ـ يذكر فيها الى جانب الأحكام أحاديث الفضائل والقصص والمواعظ ، والآداب ، والتفسير ، حتى جاء أبو داود فجعل كتابه خاصا بالسنن والأحكام مع الاستقصاء ، ولما صنف كتابه عرضه على الامام أحمد ابن حنبل فاستجاده ، واستحسنه ، ولم يلتزم فيه مؤلفه تخريج الصحيح فحسب ـ كما فعل البخارى ومسلم ـ بل خرج الصحيح ، والحسن ، والضعيف المحتمل ، وما لم يجمع الأئمة على تركه ، وأما ما كان فيه ضعف شديد فقد بينه ونبه عليه .

يدل على ذلك قوله فى رسالته الى أهل مكة ، التى كتبها لهم جوابا على سؤالهم عن كتابه السنن ، قال : كتبت عن رسول الله ـ ﷺ ـ خمسمائة ألف حديث ، انتقيت منها أربعة آلاف وثمانمائة حديث ضمنتها هذا

الكتاب ، وجمعت فيه الصحيح ، وما يشبهه ويقاربه[١]، وما ذكرت فى كتابى حديثا أجمع الناس على تركه ، وما كان من حديث فيه وهن شديد فقد بينته ، ومنه ما لا يصح سنده ، وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح [٢]، وبعضها أصح من بعض ، ولا أعلم بعد القرآن شيئا ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب ، ويكفى الانسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث :

أحدها : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

ثانيها : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

ثالثها : « لا يكون المؤمن مؤمنا حقا ، حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه » .

---

(١) المراد به ما يعرف عند المحدثين بالحديث الحسن وهو ما كان دون الصحيح فى ضبط رواته وحفظهم .

(٢) يعنى للاحتجاج ، والحق ان ما سكت عنه يبحث عنه ويحكم عليه بما يليق بحاله من صحة او ضعف فقد يكون صالحا للاحتجاج به فى نظر أبى داود وهو ليس كذلك .

رابعها : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

ويمكن توجيه مقالة أبى داود هذه على أن الحديث الأول أصل فى باب النية والإخلاص وهو أساس كل الأعمال الدينية والدنيوية ، والحديث الثانى كاف لتوجيه المسلم الى الاشتغال بالنافع فى الدين والدنيا ، والحديث الثالث يكفى لمراعاة حقوق الأهل والجيران ، وإحسان المعاملة مع الغير ، وترك الأثرة ، ونزع الحقد والحسد والبغضاء من النفوس .

والحديث الرابع أصل فى معرفة الحلال والحرام ، وتحصيل الورع بتجنب الأمور المشكلة المشتبهة التى تنازع فيها العلماء واختلفوا ، فإن التساهل فى مثل هذا يجر الى الاستهانة بالحرام والوقوع فيه .

وبهذا التوجيه ظهر أن الأحاديث الأربعة كافية إجمالا فى تحصيل السعادة ٠

آراء العلماء فى منزلة سنن أبى داود :

إليك بعض أقوال العلماء فى السنن ٠

قال الحافظ أبو سليمان الخطابى فى مقدمة كتابه (معالم السنن) : « اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن كتاب السنن لأبى داود كتاب شريف لم يصنف فى علم الدين كتاب مثله ، وقد رزق القبول من كافة الناس فصار حكما بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ، فلكل منهم ورد ، ومنه شرب (١) ، وعليه معول أهل العراق ومصر ، وبلاد المغرب وكثير من أقطار الأرض ٠٠٠ » ٠

وقال ابن الأعرابى ـ أحد رواة السنن ـ : « لو أن رجلا لم يكن عنده من العلم إلا المصحف ، ثم كتاب أبى داود لم يحتج معهما الى شئ » ٠

وقال الامام أبو حامد الغزالى : « إنها تكفى المجتهد فى العلم بأحاديث الأحكام » وكذا أثنى على السنن الإمامان النووى وابن قيم الجوزية ٠

---

(١) الورد والشرب بكسر أولهما ما يورد وما يشرب ٠

قال ابن القيم : « ولما كان كتاب السنن لأبى داود السجستانى سليمان بن الأشعث - رحمه الله - من الإسلام بالموضع الذى خصه الله به بحيث صار حكما بين أهل الإسلام ، وفصلا فى موارد النزاع والخصام ، فإليه يتحاكم المنصفون ، وبحكمه يرضى المحققون ، فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام ، ورتبها أحسن ترتيب ، ونظمها أحسن نظام ، مع انتقائها أحسن انتقاء ، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء .. جعلت كتابه أفضل الزاد .. الخ » .

الأحاديث المنتقدة على السنن :

وقد انتقد الإمام الحافظ ابن الجوزى بضعة أحاديث ذكرها أبو داود فى سننه ، وعدها من الموضوعات وهى تسعة أحاديث ، ومع ما عرف عن ابن الجوزى من التساهل فى الحكم بالوضع فقد نازعه فيها بعض الحفاظ كالجلال السيوطى ورد عليه فيها ، ولو سلمنا لابن الجوزى نقده فهى قليلة جداً لا تكاد تذكر بجانب الآلاف التى اشتمل عليها الكتاب .

لذلك نرى أنها لا تغض من قيمة الكتاب كمرجع موثوق به من كتب السنة ولكنا نوصى الباحث أن لا

يأخذ بالأحاديث التى سكت عنها أبو داود إلا بعد التمحيص والتدقيق ، حتى يعلم درجتها من الصحة ، أو الحسن ، أو الضعف .

عدة سنن أبى داود :

قد سمعت آنفا أن عدتها (٤٨٠٠) حديث وقد عدها بعضهم (٥٢٧٤) حديثا وذلك راجع الى أن بعض العادين قد يعتبر الحديث المكرر حديثا واحداً ، وقد يعتبره البعض حديثين أو أكثر ، والطريقتان معروفتان عند المحدثين .

وقد قسم أبو داود كتابه الى كتب ، والكتب الى أبواب ، وعدة الكتب (٣٥) كتابا منها ثلاثة كتب لم يبوب فيها أبوابا ، وعدة الأبواب (١٨٧١) بابا .

شروح سنن أبى داود :

للسنن شروح كثيرة منها :

١ - شرح الإمام أبى سليمان أحمد بن إبراهيم بن خطاب البستى الخطابى صاحب التصانيف المفيدة

المتوفى سنة (٣٨٨) هـ . سمى شرحه « معالم السنن »
وهو شرح وسط اعتنى فيه باللغات ، وتحقيق الروايات ،
واستنباط الأحكام والآدب وهذا الشرح مطبوع .

٢ - شرح الشيخ شرف الحق الشهير بمحمد أشرف ابن على حيدر الصديقى العظيم آبادى المتوفى فى القرن الرابع عشر الهجرى سماه « عون المعبود على سنن أبى داود » اقتصر فيه على كشف بعض اللغات الغريبة ، والعبارات العويصة ، مجتنبا الإطالة ، ولم يتعرض فى شرحه الى ترجيح الأحاديث بعضها على بعض إلا على سبيل الإيجاز ، من غير ذكر أدلة المذاهب المتبوعة على سبيل الاستيعاب إلا فى بعض المواضع التى دعت إليها الحاجة .

وقد طبع فى الهند فى أربعة أجزاء كبار .

٣ - « المنهل العذب المورود شرح سنن أبى داود » للعالم العارف بالله الشيخ محمود بن محمد بن خطاب السبكى ، وهو شرح مبسوط عنى فيه ببيان تراجم رجال الحديث ، وشرح ألفاظه ، وبيان معناه ، وما يستفاد منه من الأحكام والآداب ، مع ذكر من أخرج الحديث غير أبى داود ، ويبين حال كل حديث من الصحة أو الحسن

أو الضعف وقـد وافاه أجله قبل أن يتمه فى ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ وهو مطبوع .

مختصرات السنن :

وقد اختصر سنن أبى داود الإمام الحافظ عبد العظيم ابن عبد القوى المنذرى صاحب « الترغيب والترهيب » المتوفى سنة ٦٥٦ هـ وقد التزم المنذرى أن يذكر عقب كل حـديث من وافـق أبا داود على تخريجـه من الأئمـة الخمسة ، كما بين علل بعض الأحاديث فأحسن فى عمله وأجاد .

تهذيب المختصر :

وقد هذب هذا المختصر وشرحه الامام محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنـة ٧٥١ هـ ، وقد هذبه وزاد عليه الكلام على علل سكت عنها المنذرى أو لم يكملها ، والتعرض لتصحيح أحاديث لم يصححها ، والكلام على متون مشـكلة لم يزل اشـكالها ، وبسـط الكلام فى مواضع منه لعل الباحث لا يجدها فى كتـاب سواه ، كما هو المعروف عن ابن القيم فى توفية المقامات حقها وقد طبع المختصر ، وتهذيبه ، وكتاب « معـالم السنن » للخطابى فى كتاب واحد بمصر .

الإمـــام الترمـــذى

٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ

نســـبه :

هو الامام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى الترمذى (١) ، أحد الأئمة المحدثين الأعـــلام ، وصـاحب التـــآليف المشهورة ، والآثار الباقية ، ولد سنة تسع ومائتين .

نشـأته وارتحـاله :

كان جد أبى عيسى مروزيا ، ثم انتقـل الى ترمذ ، فأقام بها ، وقد ولد بها حفيده أبو عيسى ، وقد حبب اليه العلم وطلب الحديث من صغره ، ورحل فى سبيله الى الحجاز ، والعراق ، وخراسان ، وغيرها ، وفى هذه الرحلات قابل كبار الأئمة وشيوخ الحديث ، وأخـــذ

---

(١) السلمى : نسبة الى بنى سليم بالتصغير ، قبيلة من غيلان ، والترمذى : نسبة الى « ترمذ » مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذى يقال له : جيحون و « ترمذ » بفتح التاء والميم وكسرهما وضمهما .

عنهم ، وكان يكتب كل ما يسمعه ويقيده فى الحل وفى السفر ، وكان لا يدع فرصة دون أن يهتبلها كما تدل على ذلك قصته مع الشيخ الذى لقيه بطريق مكة ، وستأتى عن قرب .

وبعد أن رحل وسمع ، وكتب وذاكر وناظر ، وألف وصنف أضر (١) فى آخر عمره ، وبقى ضريرا سنين ، ثم توفى ، وكانت وفاته بترمذ ليلة الإثنين الثالث عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين عن سبعين عاما .

شيوخه :

وكان له شيوخ كثيرون سمع منهم ، وروى عنهم من أعيانهم : الامام البخارى وبه تخرج ، ومسلم ، وأبو داود ، وشاركهم فى بعض أشياخهم ، وقتيبة بن سعيد ، وإسحاق بن موسى ، ومحمود بن غيلان ، وسعيد بن عبد الرحمن ، ومحمد بن بشار ، وعلى بن حجر ، وأحمد بن منيع ، ومحمد بن المثنى وغيرهم .

---

(١) اى أصيب فى عينيه وعمى .

تلاميـذه :

وأخـذ عنه الحديث والعـلم خلائق كثيرون منهـم مكحول بن الفضل ، ومحمد بن محمود عنبر ، وحماد ابن شـاكر ، وعبد بن محمـد النسفيون ، والهيثم بن كليب الشاشى ، وأحمد بن يوسف النسفى ، وأبو العباس محمد بن محبوب المحبـوبى - وهو راوية كتـابه الجامع - وغـيرهم .

قـوة حافظته :

كان أبو عيسى مشهودا له بالحفظ والصلاح والتقوى، مع الثقة والأمانة والضبط ، ومما يدل على قوة حفظه ، وسيلان ذهنه ، ما ذكره الحافظ ابن حجر فى « تهذيب التهذيب » (١) عن أحمد بن عبد الله بن أبى داود قال : سمعت أبا عيسى الترمذى يقول : كنت فى طريق مكة ، وكنت كتبت جزأين من أحـاديث شيخ فمـر بنا ذلك الشيخ ، فسألت عنه ، فقالوا : فلان ، فرحت إليه وأنا أظن أن الجزأين معى ، وإنما حملت معى فى محمـلى

---

(١) ج ٩ ص ٣٨٧ ط الهند .

جـزءين غـيرهما شبههما ، فلمـا ظفـرت به سـألته السماع (١) ، فأجاب • وأخـذ يقـرأ من حفظه ، ثم لمح فرأى البياض فى يدى ـ يعنى أوراقا ليس بها شىء ـ فقال : أما تستحى منى فقصصت عليه القصة وقلت له : إنى أحفظه كله فقال : اقرأ فقرأته عليه على الولاء ، قال : هل استظهرت قبل أن تجىء إلى ؟ قلت لا ، ثم قلت له : حدثنى بغـيره فقرأ على أربعـين حـديثا من غرائب حديثه ، ثم قال : هات ، فقـرأت عليه من أوله الى آخره فقال : ما رأيت مثلك •

موقف الأئمة النقاد منه :

قد أثنى عليه كبار الأئمة ، وعرفوا له فضله وعلمـه قال الحاكم أبو عبد الله : سمعت عمر بن علك يقول : مات البخارى ولم يخلف بخراسان مثـل أبى عيسى فى العلم والحفظ والورع والزهد ، وذكره الحافظ الناقد أبو حاتم محمد بن حبان فى (الثقات) وقال : كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر •

---

(١) هذا يدل على حرص المحدثين على السماع الشفاهى ، وانهم ما كانوا يكتفون بالكتابة الا عند تعذر السماع والتلقى المباشر .

وقال أبو يعلى الخليلى فى كتابه (علوم الحديث) محمد بن عيسى الحافظ متفق عليه ، له كتاب فى السنن وكتاب فى الجرح والتعديل ، روى عنه أبو محبوب والأجلاء ، وهو مشهور بالأمانة ، والامامة والعلم ، وكتابه (الجامع الصحيح) يدل على عظيم قدره ، واتساع حفظه وكثرة اطلاعه ، وغاية تبحره فى فن الحديث .

ولم نر أحدا غمطه حقه إلا ما كان من الامام ابن حزم الظاهرى ، ولكن لم يوافقه على تجاهله للترمذى أحد من العلماء الأثبات بل أنحوا على ابن حزم باللائمة .

قال الحافظ الناقد ابن كثير فى «البداية والنهاية»[1]: وجهالة ابن حزم لأبى عيسى لا تضره حيث قال فى « محلاه » [2] : ومن محمد بن عيسى بن سورة ؟ فإن جهالته لا تضع من قدره عند أهل العلم ، بل وضعت منزلة ابن حزم عند الحفاظ :

---

(١) ج ١١ ص ٦٧

(٢) هو كتاب له يسمى « المحلى » .

وكيف يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار الى دليل

وكذلك لام الحافظ ابن حجر بن حزم على تجاهله للترمذى واعتبر ذلك منه تطاولاً على مقام العلماء الثقات المعروفين (١) .

فقه الترمذى واجتهاده :

قد جمع الترمذى الى حفظ الحديث ، ومعرفة علله ورجاله ، الفقه وله فيه باع طويل ، ومن يطلع على جامعه يعلم مبلغ علمه بالمذاهب الفقهية ، واحاطته بها ، وتصرفه فى عرض المسائل الفقهية تصرف رجل عالم خبير بها ، واليك مثالا لذلك قال :

« باب ما جاء فى : مطل الغنى ظلم »

حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ـ ﷺ ـ قال :

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٨٧

« مطل الغنى ظـــلم وإذا أتبع أحـــدكم على ملى فليتبع » (١) ٠

وقال بعض أهل العلم : إذ أحيل الرجل على ملىء فاحتاله فقد برىء المحيل ، وليس له أن يرجـــع على المحيل ، وهو قول الشافعى وأحمد واسحاق ٠

وقال بعض أهل العلم ، إذا توى (٢) مال هذا بإفلاس المحال عليه أن يرجع على الأول، واحتجوا بقول عثمان وغيره حين قالوا : ليس على مال مسلم توى ، وقــال اسحاق : معنى هذا الحديث : « ليس على مال مسـلم توى» هذا اذا أحيل الرجل على آخر وهو يرى أنه ملى فاذا هو معدم فليس على مال مسلم توى (٣) ٠

مؤلفـــاته :

(١) كتاب « الجـامع » ٠

(٢) كتاب « العـــلل » وهو فى آخر جامعه ٠

---

(١) المطل : التسويف وهو يحتمل أن يكون معناه مطل المدين الغنى الدائن ظلم أو مطل المدين الدائن الغنى ظلم والملىء والملى : الغنى.

(٢) توى : أى هلك .

(٣) كما يدلنا هذا المثال على حســـن تصرف العقـــلية الفقهيـــة الاسلامية فى النصوص وطريقة فهمها ، وبعد غورها، وأصالة نظرها.

(٣) كتاب « التـاريخ » .
(٤) كتاب « الشمائل النبوية » .
(٥) كتاب « الزهـــد » .
(٦) كتاب « الأسماء والكنى » وأجلها هو «الجامع».

جـامع الترمذى :

هو أجل كتب الترمذى وأنفعها ، وهو يعتبر أحـد الكتب الستة ، وأحد الموسوعات الحديثية المشهورة ، وقد اشتهر هذا الكتاب بنسبته الى مؤلفه فيقـــال : « جامع الترمذى » ويقال له أيضا : « سنن الترمذى » والأول هو الأكثر .

ولم يتحرج بعض العلماء من اطلاق لفظ الصحيـح عليه فيقولون : « صحيح الترمذى » ، وهو تســاهل ومجازفة (١) كما ستعلم عن كثب .

ولما ألفه الترمذى عرضه على علماء عصره فحـاز رضاهم ، روى عنه أنه قال : صنفت هذا الكتاب فعرضته

---

(١) الباعث الحثيث ص ١٨

على علماء الحجاز ، والعراق ، وخراسان ، فرضوا به ، ومن كان فى بيته فكأنما فى بيته نبى يتكلم .

منهج الترمذى فى جامعه :

لم يلتزم الترمذى فى جامعه تخريج الصحيح وحده بل ذكر الصحيح والحسن ، والضعيف ، والغريب ، والمعلل وأبان عن علته .

نعم قد التزم أن لا يخرج فى كتابه الا حديثا عمل به فقيه أو احتج به محتج ، وهذا شرط واسع فإنه على هذا خرج كل حديث بهذه المثابة سواء صح الطريق اليه أو لم يصح لكنه تكلم على كل حديث بما يليق بحاله .

وقد روى عنه أنه قال : جميع ما فى هذا الكتاب هو معمول به ، وبه أخذ بعض أهل العلم ما خلا حديثين: أحدهما حديث : « أنه ـ ﷺ ـ جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء من غير خوف ولا سفر » ، وثانيهما حديث : « فإن عاد ـ أى شارب الخمر ـ فى الرابعة فاقتلوه » .

وهذا الذى قاله فى حديث شارب الخمر هو كما قال : فهو حديث منسوخ دل الإجماع على نسخه ، وأما حديث ابن عباس فلم يجمعوا على تركه ، فقد ذهب جماعة الى جواز الجمع فى الحضر لمن لا يتخذه عادة وبه قال ابن سيرين وأشهب وحكى عن جماعة من الفقهاء وأهل الحديث واختاره ابن المنذر (١) .

وأغلب الأحاديث الضعاف والمناكير التى وقعت فى كتابه إنما هى فى باب الفضائل ، والفضائل يتسامح فيها ما لا يتسامح فى الحلال والحرام .

ومما ينتقد عليه تخريجه أحاديث « المصلوب » و « الكلبى » وكلاهما متهم بوضع الأحاديث ، وهذا هو السر فى تأخر منزلة « جامع الترمذى » عن سنن أبى داود والنسائى .

وإذا كان « جامع الترمذى » عليه فيه مؤاخذات فله فيه خصائص وميزات .

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٥ ص ٢١٨

خصـــائصه وميـــزاته :

قال مجد الدين ابن الأثير فى مقدمة كتابه « جـامع الأصول » وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب ، وأكثرها فوائد وأحسنها ترتيبا ، وأقلها تكرارا وفيه مـا ليس فى غيره : من ذكر المذاهب ، ووجوه الاستدلال ، وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب ، وفيـه جرح وتعديل ، وفى آخره كتاب « العلل » قد جمع فيه فوائدحسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها .

حديث ثلاثى للترمذى :

وقد علا الترمذى فى جامعه حتى صـار بينه وبين النبى - ﷺ - ثلاثة رواة وذلك فى حديث واحـد قـال الترمذى فى جامعه :

حدثنا اسماعيل بن موسى قال حدثنا عمر بن شاكر عن أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه - قـال : قال رسول الله ﷺ :

« يأتى على الناس زمان الصـابر منهم على دينـه كالقابض على الجمر » .

ما انتقد على جامع الترمذى :

وقد انتقد بعض الحفاظ على الترمذى أحاديث ذكرها فى كتابه وعدوها من الموضوعات كالحافظ ابن الجوزى فى موضوعاته والإمام ابن تيمية وتلميذه الذهبى ، وجملة ما انتقد ابن الجوزى عليه ثلاثون حديثا ، وقد نازعه فى الحكم عليها بالوضع الحافظ جلال الدين السيوطى حافظ مصر فى القرن التاسع الهجرى :

وفى الحق أن كثيرا منها فى الفضائل وأن منها ما يسلم الحكم عليها بالوضع لابن الجوزى ، ومنها ما لا يسلم له وأن هذه الأحاديث مما تختلف فيها أنظار العلماء ، فإذا كان المنتقد اعتبرها موضوعة ، فالامام الترمذى لا يعتبرها كذلك ولا يكاد يوجد امام فى الحديث يذكر موضوعا وهو يعلم وضعه إلا مع التنبيه عليه ، ومهما يكن من شىء فهى أحاديث قليلة بالنسبة الى ما اشتمل عليه الجامع من آلاف الأحاديث ، وهى لا تغض من قيمة الكتاب العلمية ، واعتباره من كتب الحديث المعتمدة ، وموسوعاته المشهورة .

شروح الجامع :

قد شرح سنن الترمذى علماء كثيرون منهم :

(١) الامام الحافظ أبوبكر محمد بن عبد الله الأشبيلى المعروف بابن العربى المالكى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ (١) بفاس سماه : « عارضة الأحوذى (٢) فى شرح سنن الترمذى » ، تكلم فيه على الرجال والأسانيد والغريب، وذكر فنونا من النحو ، والعقائد ، والأحكام ، والآداب والحكم والمصالح ، وقد أجاد فى ذكر توجيه الأقوال وأدلتها ، ولا سيما مذهب امامه ـ رحمه الله تعالى ـ كل ذلك فى عارضة قوية ، وبيان مشرق ، وأسلوب عربى رصين وهو مطبوع بمصر والهند .

(٢) شرح الحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ سماه « قوت المغتذى على جامع الترمذى » ذكر

---

(١) هذا هو الذى ذكره ابن خلكان وصححه الذهبى وقال ابن النجار فى تاريخه : توفى سنة ٥٤٦ هـ.

(٢) قال ابن خلكان فى وفياته ج ٢ ص ٢٩٣ : وأما معنى عارضة الأحوذى : فالعارضة القدرة على الكلام يقال : فلان شديد العارضة اذا كان ذا قدرة على الكلام ، والأحوذى الخفيف فى الشىء لحذقه ، وقال الأصمعى : الأحوذى المشمر فى الأمور القاهر لها الذى لا يشذ عليه شىء منها ، وهو بفتح الهمزة ، وسكون الحاء المهملة ، وفتح الواو وكسر الذال المعجمة ، وفى آخره ياء مشددة .

فيه بين يدى الشرح مقدمة فى الجامع ومنزلته ، واصطلاحاته ، وهو شرح وجيز اعتمد فيه على كلام من سبقه ولا سيما ابن العربى المالكى وقد طبع بالهند .

وهناك شروح أخرى منها ما هو مخطوط ومنها ما ضاع فى الفتن .

• • •

الإمـــام النســـائى
٢١٥ ـ ٣٠٣ هـ

نســـبه :

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام ـ كما وصفه الذهبى فى تذكرته ـ أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب ابن على بن سنان بن بحر الخراسانى القاضى صاحب السنن وغيرها من الكتب القيمة .

كان إمام عصره فى الحديث ، والمقدم على أضرابه، وفضلاء عصره .

مولـــده :

وكان ميلاده « بنساء » سنة خمس عشرة ، وقيل سنة أربع عشرة .

نشـأته وارتحـاله :

وقد نشأ « بنســاء (١) » وعلى تربتها ترعرع ، وفى

---

(١) نساء بفتح النون والسين المهملة وفى آخره همزة بلدة بخراسان خرج منها جماعة من الأعيان « وفيات الأعيان » .

مدارسها حفظ القرآن وتلقى أصول العلوم على مشايخ بلده ولما شب عن الطوق ، وبلغ مبلغ الشباب حبب إليه الارتحال فى طلب الحديث ولما يجاوز الخامسة عشرة من عمره فارتحل الى الحجاز ، والعراق ، والشام ، ومصر ، والجزيرة وسمع من علماء هذه الأمصار ، حتى برع فى علوم الحديث ، وتفرد بالمعرفة ، والإتقان ، وعلو الاسناد .

مقامه بمصر ثم خروجه الى دمشق :

وقد طاب له المقام بمصر فاستوطنها ، وكان يسكن « بزقاق القناديل » واستمر مقيما بها الى قبيل وفاته بعام ، فخرج الى دمشق وهناك حدثت له حادثة كانت السبب فى استشهاده ، ذلك أنه سئل عما جاء فى فضائل معاوية ـ رضى الله عنه ـ وكأنهم كانوا يريدون منه أن يؤلف فى فضائله ، كما ألف فى فضائل على ـ رضى الله عنه ـ فقال للسائل : ألا ترضى رأسا برأس حتى تفضل ، وقيل إنه قال : لا أعلم له فضيلة ، فما زالوا يدفعونه ، ويضربونه فى خصيتيه ، ويدسونه حتى أخرجوه من المسجد وقد أشرف على الموت .

وفـاته :

وقد اختلف فى موطن وفاته ، فقال الدارقطنى: إنه لما امتحن بدمشق ، وأدرك الشهادة قال احملونى إلى مكة فحمل إليها وتوفى بها ، ودفن بين الصفا والمروة ، وكـذا قـال أبو عبـد الله بن منده عن حمـزة العقبى المصرى وغيره .

وخالف فى هذا الإمام الذهبى وقال : الصواب أنـه توفى « بالرملة » (١) وهذا هو الذى جزم به ابن يونس فى تاريخه وقال به أبو جعفر الطحـاوى وأبو بـكر بن نقطة ، ومع أنه توفى بالرملة فقد دفن ببيت المقدس(٢) وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثمائة (٣٠٣) هـ .

روايتـه :

وقد أخذ الحديث عن شيوخ كثيرين من أعيانهم : قتيبة بن سعيد ، وقد ارتحل إليه وعمره خمس عشرة سنة ، وأقام عنده سنة وشهرين ، وإسحاق بن راهويه، والحارث بن مسكين ، وعلـى بن خشرم ، وأبـو داود

---

(١) بلدة بفلسطين .
(٢) البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٤ .

صاحب السنن ، والترمذى صاحب الجامع وروى عنه كثيرون منهم : أبو القاسم الطبرانى صاحب المعاجم الثلاثة وأبو جعفر الطحاوى ، والحسن بن الخضر السيوطى ، ومحمد بن معاوية بن الأحمر الأندلسى وأبو بكر أحمد بن إسحاق السنى وهو راوية السنن .

صفاته :

كان حسن الوجه ، مشرق اللون ، يضرب لونه إلى الحمرة وكان يؤثر لباس البرود اليمنية ، وكان مجتهداً فى العبادة بالليل والنهار ، ومواظبا على الحج والجهاد ، وقد خرج مع أمير مصر غازيا فوصفوا من شهامته وشجاعته ، وإقامته السنن المأثورة فى فداء المسلمين ، واحترازه من مجالس الأمير الذى خرج معه الشىء الكثير وهكذا فليكن العلماء ، ينشرون العلم والمعرفة ، فإذا ما دعا داعى الجهاد أسرعوا الى تلبية النداء ، وقد أخذ نفسه بسنة نبى الله داود يصوم يوما ويفطر يوما .

تحريه فى النقد وتشدده فى الرواية :

قد كان النسائى شديد التحرى عن الرجال الرواة ، ومن المتشددين فى قبول المرويات نقل الحاكم أبو

عبد الله عن الدارقطنى أنه قال : أبو عبد الرحمن النسائى مقدم على كل من يذكر بهذا العلم - علم الحديث - من أهل عصره ، وكان يسمى كتابه « الصحيح » .

وقال أبو على النيسابورى حافظ خراسان : حدثنا الإمام فى الحديث بلا مدافعة أبو عبد الرحمن النسائى، وكان يقول : للنسائى شرط فى الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج .

والعبارة وإن كان فيها شئ من المبالغة تدل - ولا ريب - على شدة تحريه فى نقد الرجال ، وعلمه بالحديث ، ومبالغته فى قبول الأحاديث .

فقهه :

وقد جمع الى حفظ الحديث ، والعلم بالرجال وعلل المرويات ، الفقه والفهم .

قال الدارقطنى فى النسائى : « كان أفقه مشايخ مصر فى عصره ، وأعلمهم بالحديث والرجال » .

وقال الحاكم أبو عبد الله : « أما كلام أبى عبد الرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن نذكر ، ومن نظر فى كتابه السنن له تحير فى حسن كلامه » .

وقد ذكر ابن الأثير الجزرى فى مقدمة « جامع الأصول » أنه كان شافعى المذهب ، وأن له مناسك ألفها على مذهب الشافعى - رحمه الله .

مؤلفاته :

له مؤلفات كثيرة منها .

(١) السنن الكبرى .

(٢) السنن الصغرى وهى المسماة « بالمجتبى » .

(٣) الخصائص .

(٤) فضائل الصحابة .

(٥) المناسك .

وأجلها هو كتاب السنن وسنخصه بالحديث .

سنن النسائى

لما ألف الإمام النسائى كتابه « السنن الكبرى » أهداها الى أمير الرملة فقال له : أكل ما فيها صحيح ؟ فقال له : فيها الصحيح والحسن ، وما يقاربهما . فقال له : ميز لى الصحيح من غيره فصنف له كتاب (السنن الصغرى) وسماه « المجتبى » (١) من السنن، وكتاب السنن مرتب على الأبواب الفقهية كبقية كتب السنن الأخرى .

وقد تحوط النسائى غاية التحوط فى تأليف سننه الصغرى فمن ثم قال العلماء : إن درجة السنن الصغرى بعد الصحيحين ، لأنها أقل السنن بعدهما ضعيفا ، لذلك نجد أن الأحاديث التى انتقدها أبو الفرج ابن الجوزى على السنن الصغرى وحكم عليها بالوضع قليلة جدا ، وهى عشرة أحاديث ، وليس الحكم عليها

(١) الباء الموحدة وبعضهم يقول : المنجتى بالنون والمعنى قريب.

بالوضع بمسلم له بل نازعه فيها السيوطى وخالفه فى كثير منها .

وفى سنن النسائى الصغرى الصحيح والحسن والضعيف ولكنه قليل ، وأما ما ذهب إليه بعض العلماء من أن كل ما فى السنن صحيح فتساهل وقول غير دقيق ، ولعلهم أرادوا أن معظمها صحيح .

وهذه السنن الصغرى هى التى عدت من الأصول المعتمدة عند أهل الحديث ونقاده ، وأما سننه الكبرى فكان من طريقته فيها أن لا يخرج عمن أجمع العلماء والنقاد على تركه .

وإذا نسب الى النسائى حديث فإنما يعنون روايته فى « السنن الصغرى » لا الكبرى ، اللهم إلا ما كان من صنيع بعض المؤلفين ، كما نبه على ذلك صاحب كتاب « عون المعبود شرح سنن أبى داود » حيث قال فى آخره :

واعلم أن قول المنذرى فى مختصره ، وقول المزى فى الأطراف الحديث أخرجه النسائى فالمراد به السنن الكبرى للنسائى ، وليس المراد به السنن الصغرى الذى

هو مروج الآن فى أقطار الأرض من الهند ، والعرب ، والعجم وهـذه السنن الصغرى مختصرة من الكبرى وهى لا توجد إلا قليلا فالحديث الذى قال فيه المنذرى والمزى : أخرجه النسائى وما وجدته فى السنن الصغرى فاعلم أنه فى الكبرى ولا تتحير لعدم وجدانه ، فإن كل حديث فى الصغرى موجود فى الكبرى ، ولا عكس ، ويقول « المزى » فى كثير من المواضع أخرجه النسائى فى التفسير ، وليس فى السنن الصغرى تفسير .

وبعد فسنن النسائى من أجل كتب الحديث وأصوله الموثوق بها .

شروح السنن :

لم تحظ سنن النسائى بمثل ما حظيت به كتب الحديث المعتمدة الأخرى من الشروح ، وقد أشار الى ذلك الإمام السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ فى شرحه حيث قال فى مقدمته : « وهو تعليق على سنن الحافظ أبى عبد الرحمن النسائى على نمط ما علقته على الصحيحين ، وسنن أبى داود ، وجامع الترمذى ، وهو بذلك حقيق إذ له منذ صنف أكثر من ستمائة سنة ، ولم

يشتهر عليه من شرح ولا تعليق » وأشهر شروحه .

(١) شرح الحافظ جلال الدين السيوطى وهو شرح لطيف موجز ، بل هو أقرب الى التعليق سماه « زهر الربى على المجتبى » وقد عنى فيه بضبط أسماء الرواة، وشرح الألفاظ ، والغريب ، وذكر بعض الأحكام والآداب التى اشتملت عليها الأحاديث وهو على وجازته مفيد .

(٢) شرح الشيخ العلامة أبى الحسن محمد بن عبد الهادى الحنفى المشهور بالسندى نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ١١٣٨ هـ قال فى مقدمته :

فهذا تعليق لطيف على سنن الأمام الحافظ أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى يقتصر على حل ما يحتاج إليه القارىء والمدرس من ضبط اللغة ، وإيضاح الغريب والإعراب ...

وهو أوفى من شرح السيوطى ، وله فيه آراء دقيقة .

وقد طبع هذان الشرحان فى مصر والهند .

والطبعة المصرية طبع فيها متن السنن والشرحان فى كتاب واحد وكان الفراغ منها عام ١٣١٢ هـ .

(٣) شرح الشيخ العلامة سراج الدين عمـر بن على ابن الملقن الشافعى المتوفى سنة (٨٠٤) هـ وهو شرح على زوائده على الصحيحين وأبى داود والترمذى وهو يقع فى مجلد ٠

●●●

الإمـــام ابن مـــاجه

٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ

نسـبه ومولده :

هـو الإمام أبو عبد الله محـمد بن يزيـد بن ماجه الربعى (١) القزوينى صاحب السنن وغيره من الكتب النافعة .

ولـد سنة تسع ومائتين ، وتوفى لثمـان بقـين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين وصلى عليه أخوه أبـو بـكر ، وتولى دفنه أخواه أبو بكر وعبد الله وابنه عبد الله .

---

(١) ماجه بتخفيف الجيم وسكون الهاء وهو الصحيح والذى عليه جمهور العلماء لا بالتاء كما زعم البعض ، وهو لقب والده لا جده كما قال صاحب القاموس « ج ١ ص ٢٠٨ » ونقـل ابن كثير فى البداية والنهاية « ج ١١ ص ٥٢ » عن الخليلى انه قال : يعرف يزيد بماجه مولى ربيعة وعلى هذا كان ينبغى أن يقال محـمد بن يزيد ماجه لا : ابن ماجه » ولكن أغلب الكاتبين عنه قالوا محـمد بن يزيد بن ماجه والرابعى نسبة الى ربيعه قال ابن خـلكان فى وفياته : وهى اسـم لعدة قبائل لا أدرى الى أيها ينسب المذكور .

نشــأته وارتحــاله :

وقــد نشأ محبا للعلم والمعرفــة شــغوفا بالحــديث وروايته ، وقد ارتحل فى سبيل الحديث وجمعه ، وطوف بالبلاد فارتحل الى العــراق ، والحجاز ، والشــام ، ومصر ، والــكوفة ، والبصرة وغــيرها من الأمصــار والأقطار ، ولقى الكثيرين من شيوخ الحديث وأئمته ، وذاكــرهم ، وأخــذ عنهــم وسمع من أصحــاب مالك والليث ـ رحمهم الله تعالى ـ حتى غدا من أئمــة هــذا العلم النبوى الشريف .

« روايتــه »

سمع الحديث من أبى بكر بن أبى شيبة ، ومحــمد ابن عبد الله بن نمير ، وهشام بن عمار ومحمد بن رمح وأحمد بن الأزهر وبشر بن آدم وغيرهم من أجلة العلماء وروى عنــه محــمد بن عيسى الأبهــرى وأبــو الحسن القطان ، وسليمان بن يزيد القزوينى ، وابن سيبويه ، واسحاق بن محمد وغيرهم كثيرون .

تقديـر العلمـاء له :

قال أبـو يعلى الخليلى القزوينى : ابن ماجه ثقة كبير متفق عليه ، محتج به ، له معرفة وحفظ ، ووصفه الحافظ الذهبى فى « تذكرة الحفاظ » بأنه الحافظ الكبير المفسر صاحب السنن ، والتفسير ، ومحدث تلك الديار ، وقال الحافظ الناقد بن كثير فى « بدايته » محمد بن يزيد (بن ماجـه) صاحب كتـاب السنن المشهورة ، وهى دالة على عمله وعلمه ، وتبحره ، واطلاعه ، واتباعه للسنة فى الأصول والفروع .

مؤلفـاته :

له مؤلفات كثيرة منها .

(١) كتاب السنن الذى هو أحد الكتب السته .

(٢) تفسير القرآن الكريم ، وهو تفسير حافـل كما قال ابن كثير .

(٣) كتاب التاريخ وقد أرخ فيه من عصر الصحابة الى وقته .

سنن ابن ماجه :

وهو أجل كتب ابن ماجه وأبقاها على الزمان ، وبه عرف واشتهر ، وقد رتبه على الكتب والأبواب .

وقد ذكروا أن عدة كتبه اثنان وثلاثون كتابا .

وأن جملة أبوابه ألف وخمسمائة باب .

وجملة أحاديثه أربعة آلاف حديث .

وهى مرتبة ترتيبا فقهيا ، وقد أحسن وأجاد حينما بدأ كتابه بباب اتباع سنة رسول الله ﷺ ، وساق فيه الأحاديث الدالة على حجية السنة ووجوب اتباعها والعمل بها .

منزلتها من كتب السنة :

من العلماء من جعل أصول كتب الحديث وينابيعه خمسة :

١ - صحيح البخارى .

٢ - صحيح مسلم .

٣ـ سنن أبى داود .

٤ ـ سنن النسائى .

٥ ـ سنن الترمذى .

ولم يضموا اليها سنن ابن ماجه ، لتأخر مرتبتها عنهم .

ومنهم من جعلها ستة بضم سنن ابن ماجه إليها ، وأول من عدها سادس الستة الحافظ أبو الفضل محمد ابن طاهر المقدسى المتوفى سنة ٥٠٧ هـ فى كتابه « أطراف الكتب الستة » ورسالته « شروط الأئمة الستة » ثم الحافظ عبد الغنى بن الواحد القدسى المتوفى سنة ٦٠٠هـ فى كتابه « الإكمال فى أسماء الرجال » وتابعهما كثير من المتأخرين .

وإنما قدم هؤلاء سنن ابن ماجه واعتبروها سادس الستة ، ولم يعتبروا موطأ الإمام مالك هو السادس ـ مع أنه أصح منها ـ لكثرة زوائد سنن ابن ماجه على الكتب الخمسة بخلاف الموطأ فإن أحاديثه ـ إلا القليل منها ـ موجودة فى الكتب الخمسة مندمجة فيها ، ومن العلماء من جعل موطأ الإمام مالك ـ رحمه الله ـ أحد الأصول الستة ، ولم يضم إليها سنن ابن ماجه .

وأول من فعل ذلك من المؤلفين أبو الحسن أحمد ابن رزين العبدرى السرقسطى المتوفى حوالى سنة ٥٣٥ هـ فى كتابه « التجريد فى الجمع بين الصحاح » وتبعه على ذلك أبو السعادات مجد الدين بن الأثير الجزرى الشافعى المتوفى سنة (٦٠٦) هـ ، وسار على هذا أيضا العلامة الزبيدى الشافعى المتوفى سنة ٩٤٤ هـ فى كتابه « تيسير الوصول » والحق أن الموطأ أعلا درجة من سنن ابن ماجه ، وأنه إنما لم يجعلوه من الستة للاعتبار الذى ذكرناه آنفا .

درجة أحاديث السنن

وسنن ابن ماجه ، فيها الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، بل والمنكر والموضوع على قلة ، وهى بالنسبة لكتب السنن الأخرى متخلفة عنها ، لكثرة الأحاديث الضعيفة التى فيها حتى قال الحافظ المزى : إن كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة فهو ضعيف .

وكلام المزى غير مسلم ، فقد انفرد بأحاديث كثيرة وهى صحيحة كما قال الحافظ الكبير ابن حجر .

وقد ألف الحافظ شهاب الدين البوصيرى المتوفى سنة ٨٤٠ كتابا سماه « مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه » تكلم فيه على كل حديث من تلك الأحاديث الزائدة على الكتب الخمسة بما يليق بحاله من صحة أو حسن أو ضعف أو وضع .

وصنيعه هذا يرد كلام المزى ويؤيد رأى الحافظ ابن حجر وفى الحق أن مرتبة سنن ابن ماجه دون مرتبة الكتب الخمسة وأنها أكثر كتب السنن حديثا ضعيفا ولا ينبغى الاستدلال بحديث انفرد به إلا بعد البحث والتحرى عن حاله فإن كان صحيحا أو حسنا احتج به وإلا فلا .

الأحاديث المنتقدة على سنن ابن ماجه :

قد انتقد بعض الحفاظ على ابن ماجه أنه يخرج عن رجال متهمين بالكذب وأنه قد ذكر بعض الأحاديث الموضوعة .

ومن هؤلاء الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى فقد انتقده فى ثلاثين حديثا وعدها من الموضوعات ، وقد نازعه السيوطى فى الحكم عليها بالوضع .

والحق أن ما يسلم منها لابن الجوزى كثير ، وبعض هذه الأحاديث مما أجمع النقاد على وضعه ٠

ومهما يكن من شيء فالأحاديث الموضوعة التى فيه قليلة بالنسبة الى جملة أحاديث الكتاب التى تزيد عن أربعة آلاف حديث ، فهى لا تغض من قيمة الكتاب كأصل من أصول السنة ، وينبوع من ينابيعها ، والواجب كما قلت أن لا يؤخذ بحديث مما انفرد به الا بعد البحث والتحرى عن رواته ، والتأكد من صلاحيته للاحتجاج به ٠

ثلاثيات ابن ماجه :

قد علا ابن ماجه فى بعض الأحاديث حتى صار بينه وبين النبى - ﷺ - ثلاثة رجال وهى ما تعرف بالثلاثيات ٠

شروح السنن :

من أشهر شروح سنن ابن ماجه :

(١) شرح الحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى

(٩١١) هـ وسمى شرحه « مصباح الزجاجة على سـنن ابن ماجه » وقد جرى فيه على طريقته فى شرح الكتب الستة ، وهى الإيجاز والاقتصار على المهم .

(٢) شرح الشيخ السندى المدنى المتوفى (١١٣٨)هـ، وهو شرح وجيز ، اقتصر فيه على المهمات .

وقد طبع هذا الشرح على هامش متن السنن .

●●●

نتـــائج البحـــث

وبعـــد :

فقد وفينا بما وعدناك به ـ أيها القارىء الفاضل ـ من التعريف بالكتب الستة ومؤلفيها ، ولا نرى حرجـا بعد هذا المطـــاف الطويل بك من أن نصــــدع بهذه النتائج :

(١) أن تدوين السنة وإن كان بدأ بصفة عامة فى آخر القرن الأول الهجرى ، إلا أن التدوين الخاص قد وجـد قبل ذلك فى عصر الصحابة بل وفى عصر النبى ﷺ .

(٢) أن الصحابة فى العصر النبوى وبعده والتابعين، قد عنوا عناية فائقة بحفظ السنن ، والحفاظ عليهـا فى صدورهم وعلى صفحات قلوبهم ، ولا سيما أنهم كانوا ذوى آذان واعية ، وحوافظ قوية ، وأذهـــان حادة ، وقلوب مشرقة مضيئة ، ونفوس مستعدة لما يلقى اليها من قرآن أو سنة .

(٣) أنهم كما عنوا بحفظ الأحاديث والسنن عنوا بتبليغها للناس لأنهم يعلمون أنها شرع واجب البلاغ، وكانوا يبلغونها بلفظها غالبا فإن تعذر عليهم الأداء باللفظ أدوها بالمعنى مع غاية التحوط من التزيد والاختلاف ، أو التحريف والتغيير .

(٤) أن الأئمة الجامعين للسنة المدونين لها وإن كانت مهمتهم الجمع فقد كانوا يفقهون الأحاديث ويفهمونها، ويعرفون مغازيها ومقاصدها ، وصنيعهم فى كتبهم الحديثية التى ذكرناها أكبر شاهد على ذلك .

وكانوا يقصدون بهذا الجمع الذى بذلوا فيه الأعمار، توجيه الأمة الى العمل بسنة رسول الله ﷺ ، وإيقافها على ما فيها من أحكام وآداب ومواعظ وأخلاق يصلح عليها أمر المجتمع ويستقيم بناؤه .

(٥) وأن الأئمة الجامعين للسنة عنوا - مع الجمع - بنقد الأسانيد والمتون ، فقد شرحوا الرجال ، وخبروهم بمخبار النقد الصحيح ولم يقبلوا راوية إلا بعد أن تحروا عنه ، ووثقوا من دينه ، وعقله ، وعدالته ، وأمانته ، وكذلك عنوا بنقد المتون نقدا علميا أصيلا يمتاز

بالتروى والاتئاد والتبصر لا بالتهجم ، والتسرع والدعاوي التى لم يقم عليها دليل ٠

وإذا كان الله سبحانه قد تعهد بحفظ كتابه ، فقد قيض لسنة نبيه أئمة عدولا ينفون تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ٠

(٦) أن كتب الحديث الستة تعتبر أهم الينابيع التى تستقى منها السنة ، وأن أصحاب هذه الكتب قد بذلوا أقصى ما يستطيعه الجهد الإنسانى فى البحث عن الحقيقة والتحرى عن الصدق ٠

ولسنا ندعى لهم العصمة فالعصمة إنما هى لله ولرسله ، وحسبهم فضلا أنهم اجتهدوا فيما جمعوا ، وفيما صححوا أو ضعفوا ، وأنهم لم يدعوا وسيلة من وسائل الوصول الى الحق إلا حصلوها ، فلهم كفاء ما قدموا من عمل الأجر الجزيل من الله سبحانه ٠

(٧) أن هناك كتبا أخرى فى منزلة الكتب الستة أو تدانيها كموطأ الإمام مالك ، ومسند الإمام أحمد ، وصحيح ابن خزيمة وغيرها كثير فيها من الأحاديث الصحاح والحسان شىء كثير جدا ٠

فإذا كنا اقتصرنا على الستة فلشهرتها وعناية الناس بها شرقا وغربا ، وعسى أن تكون لنا عودة فى رسالة أخرى نعرف بباقى كتب السنة والأحاديث ٠

هذا وإن كان ما قلته صوابا فمن الله ، وإن كانت الأخرى فحسبى أنى أردت الحق ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والحمد لله فى النهاية كما حمدناه فى البداية ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى العربى وعلى آله وصحبه وسلم ٠

أبو السادات

محمد محمد أبو شهبة

●●●

الفهرس

الموضوع	الصفحة

كلمة الإشراف الفنى

تم بحمد الله ـ تعالى ـ اعادة طبع كتاب « فى رحاب السنة ـ الكتب الصحاح الستة » لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة ، وهو كتاب قيم يحتاج إليه كل مشتغل بالسنة وكل طالب علم فى هذا الميدان .

والمؤلف رحمه الله ـ تعالى ـ متخصص فى هذا المجال، وله فيه باع طويل ، وفى هذا الكتاب أوضح لنا قيمة السنة ومنزلتها وحاجتنا إليها ، كما تحدث عن الكتب الصحاح الستة ، وعن أصحابها فى عجالة مفيدة ونافعة .

نرجوا الله ـ سبحانه ـ أن يرحم مؤلف هذا الكتاب، وأن ينفع به المسلمين جميعا .

والله الهادى الى أقوم طريق .

الإشراف الفنى

طوسون ابراهيم